الفنون الإسلامية

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد الخامس عشر (١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ)

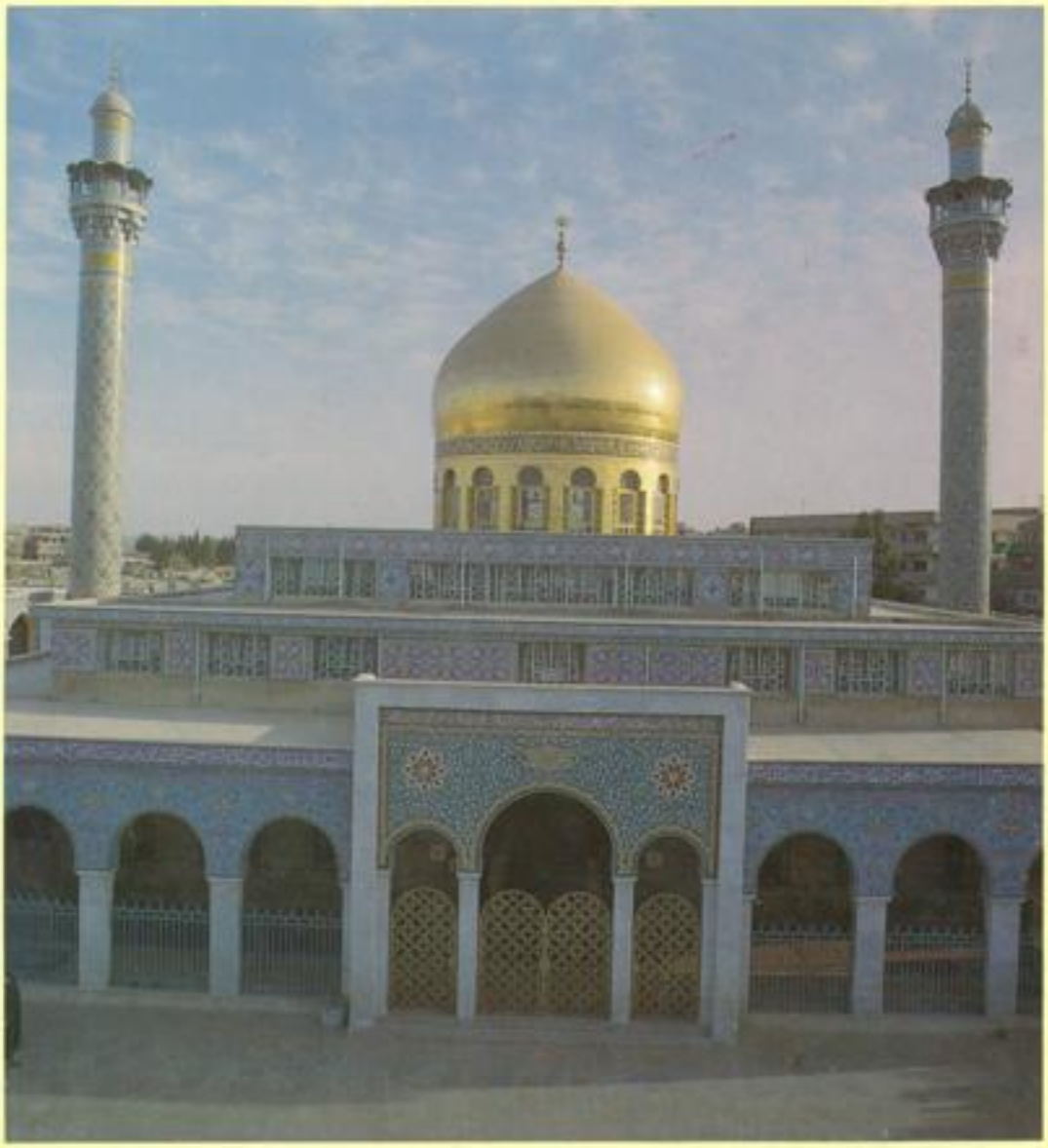

المشهد الزينبي الشريف بدمشق، الشام

الإمامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

مؤسس

أكاديمية الكوفة

هولندة

المركز العالمي لعلوم أهل البيت عليهم السلام

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.aimawsem.net
www.shiaparlement.com

الشعر القطيفي في أربعين عاما

(١٣٧٠ ـ ١٤١٠ هـ)

بقلم حبيب محمود*

شكر واعتراف

مع البداية : أودّ أن أتقدّم، بالشكر والامتنان، إلى كل الذين وقفوا إلى جانبي في رحلتي السريعة المُتعِبة مع الشعر القطيفي، طيلةَ الأشهرِ الماضية. سواء مَن وجّهني وأسدى إليّ النصيحة، أو مَن وفّر لي بعض المصادر، أو قام بأيّ عملٍ ساهمَ في هذه الدراسة ككل.

وأخصّ مِن كل هؤلاء: الأخ الأستاذ عبدالله أحمد السليمان الذي وقف معي وقفته المتميزة التي لا أنساها، فشاطرني الجُهد الجَهيد الذي فرضته على نفسي.. والله أسأل أن يكتب لنا ـ جميعاً ـ التوفيق والسداد، وأن يتقبّل عملنا هذا، إنّه سميع مجيب.

بسم الله هاما وهطليا

قبل الدخول

بدأت رحلتي مع الشعر القطيفي الحديث منذ ما يربو على العامين، وذلك حينما نويت القيام بمشروع دراسة هذا الشعر دراسة موسّعة، أعالج فيها جوانبه كلّها بصورة منهجية، تحدد ملامحه المتميزة، على اعتبار أنّه جزء من الشعر العربي الحديث.

وقتئذٍ لم أكن ملتفتاً إلى مشكلة الوقت الذي يمكن أن ينجز فيه هذا المشروع، بل كنت على يقين أنّه سوف يطول ويطول إلى أجل غير مسمّى... ! إنّ أهم عقبات هذا المشروع الكثيرة هي المصادر،

---

* ـ باحث من المملكة العربية السعودية، ولد في بلدة القديح في ٢٥ / ٨ / ١٣٨٨ هـ ـ ١٦ / ١١ / ١٩٦٨م. نشأ وتربّى في بلدة العوامية ودرس فيها، يعمل حالياً في أمانة مدينة الدمّام، نظم الشعر مبكراً وله ديوان شعر مخطوط بعنوان «أنفاس يائسة»، كتب هذا البحث خصيصاً لمجلة الموسم.

فهي ـ وإن كانت موجودة وكثيرة ـ لا تكون إلاّ على إحدى الحالتين:

إمّا أن تكون مطبوعة، ونفدت من الأسواق، أو لم تدخل الأسواق البتة!!

وإمّا أنّها لا تزال مخطوطة، ولا يوجد منها نسخ إلاّ عند أصحابها أو ورثتهم! ولا يستثني من ذلك إلاّ أقل القليل من المصادر الكثيرة.

وعلى الرغم من ذلك، وغير ذلك، قبلت هذا التحدّي! وشرعت في جمع مادة مشروعي ورصد مصادره، تمهيداً لتطبيق المنهج الموضوع سلفاً كخطوة أولية. وكان أوّل ما قمت به هو إعداد تراجم منفصلة عن بعضها البعض لعدد من الشعراء الشباب، واختيار بعض النصوص من أشعارهم، ممن تمّ اقتناعي بشعرهم. وقد اجتمع لدي من ذلك مجموعة لا بأس بها من التراجم الأولية.

ولست أدري كيف ازدوج عملي هذا، لأصبح مسؤولاً عن إعداد دراسة عن الشعر القطيفي، لتنضم هذه الدراسة إلى مجموعة من الدراسات والبحوث والاستطلاعات ضمن ملف تسلّط فيه الأضواء على منطقة القطيف، وتصدره مجلة «الموسم» الفتية في عدد من أعدادها الخاصة.

وفي الوقت الذي أشكو فيه ضيق الوَقت وعنته، أجدني مقبلاً على تحد جديد، وهو إنجاز رغبة «الموسم» في مدة وجيزة!! ولكي أتمكن من تجاوز هذا التحدّي أو إشباع هذا «الغرور» كان لزاماً علي أن أقلّص مادة بحثي في الوقت الذي أضاعف فيه جهدي. فكان لي ذلك، وكانت الدراسة التي بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ هي خلاصة هذا الجهد السريع والمتواضع. وما هي إلاّ قبسة عجلان، كما يقول العرب قديماً. أو هي نواة صغيرة لمشروعي المنوّه عنه، لا أقلّ ولا أكثر!! ولعلّ في عنوانها (الشعر القطيفي في أربعين عاماً، دراسة مقتضبة) ما يدل عليها.

منهج البحث:

تركز هذه الدراسة اهتمامها على العنصرين الأساسيين: الشعر، والشاعر على نحو من الاختصار شديد:

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ يتعرض القسم الأوّل منها إلى مقوّمات الشعر القطيفي الحديث: تراثه، بيئته، اتجاهاته الفنية، أنواعه، أغراضه ودوافعه.

٢ ـ ثم يتعرض القسم الثاني إلى الملامح الإنسانية العامّة فيه، وذلك من خلال كثير من نماذجه، بمختلف توجهاتهم الفنية والفكرية.

٣ ـ أمّا القسم الثالث: فإنّه يتحدث عن شعرائه الذين يمثلونه في الحقبة المذكورة.

وإنّني على يقين من تقصيري وفوات الكثير مما يجدر ذكره. ومع ذلك، آمل أن يتقبّله قرّاء «الموسم» الأعزاء، وأن يتذكروا تلك الحكمة القائلة: بأن لكل مجتهد نصيب. والحمد لله ربّ العالمين..

حبيب محمود

٢٣ / ١٠ / ١٤١١ هـ

القسم الأول

مقومات الشعر القطيفي الحديث

الفصل الأوّل:

الشعر في القطيف
ولمحة خاطفة عن تاريخه

يخيّل إليّ، وأنا في معرض هذا الحديث، أنّ الشعر في القطيف قديم قِدَمَ طبيعة هذه الواحة المترفة بأشجار النخيل الباسقة والمياه العذبة المتدفقة، لتقابل كثبان الدهناء الظامئة غرباً، وأمواج الخليج شرقاً..

تهدي لها الصحراء في السحر الصبا فتمر كالحلم اللذيذ وتخطر
والبحر يهديها اللآلىء زينة وتجارة فيها الغنى يتوفر
دنيا بها من كل فن ساحرٍ ولكل ما تصبو النفوس مصور[1]

فلا عجب إذا كانت هذه الطبيعة الرائعة مصدر شاعرية صافية، يفتن بها الشعراء وتتلاقى أرواحهم على ضفافها الساحرة فتصوغ من مفاتنها العذراء قلائد شعر تعلّقها على جيد الزمان، يزهو بها مفتناً أبد الدهر. وإذا كان سياق العمل الموضوعي لا يعنى بهذه التخيّلات، فإنّنا لا نعدم، في المصادر الأدبية والتاريخية، ما يعيننا على إيراد النماذج الواحد تلو الآخر، تدليلاً على مكانة القطيف أدبياً، عبر عصور الأدب المتلاحقة.

هذا أبو عثمان الجاحظ يقول: «وشأن عبدالقيس عجيب، وذلك أنّهم بعد محاربة إياد تفرّقوا فرقتين: . . . وفرقة وقعت إلى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر قبيل في العرب. ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البادية ومعدن الفصاحة، وهذا عجيب»[2].

وإذا دلّ قول الجاحظ على شيء، فإنّما يدل على النهضة الأدبية التي كانت تتمتع بها هذه المنطقة الخصبة في تلك المرحلة التاريخية المجهولة ـ نوعاً ما ـ في تاريخ القطيف.

فضلاً عن أنّ البيئة الطبيعية، التي وصفناها سلفاً، هي التي أذكت روح الشعر في عبدالقيس وهذبتها فانطلقت صافية رقراقة، وهو ما فات صاحبنا، أعني أبا عثمان الجاحظ.

ولعلّ في قول المثقب العبدي (وهو أحد شعراء المنطقة الجاهليين) ما يشير إلى ما تعارف عليه النقّاد في شعر البدو الحاضرة.. إنّه يقول:

فإمّـا أن تكـون أخي بصـدق فأعـرف منـك غثي من سمـين
وإلاّ فاطّـرحـني واتخـذني عدواً أتـقـيك وتـتـقـيني
فما أدري إذا يممـت أرضـاً أريد الخـير أيّهـما يليني
أألخـير الـذي أنـا أبـتـغـيه أم الشر الـذي هو يبـتـغـيني

والمثقب العبدي ليس إلاّ واحد من شعراء كثيرين مثلوا واقعاً أدبياً ناهضاً بكل مقوّمات الأدب في ذلك الزمان، كما نفهم من كلام الجاحظ.

أمّا في العصرين الإسلامي والأموي: فلم يكن شوط الشعر متوقفاً عن مواصلة مسيرته التاريخية، فلقد حفلت هاتان الحقبتان بشعراء كثيرين، ننتقي منهم:

الصلتان العبدي: الذي احتكم عنده شاعرا العصر الأموي (جرير والفرزدق) فحكم بأنّ جريراً أشعر من الفرزدق[٣]. وهو الذي يقول في ذلك:

أنـا الصلتان الـذي علمتم قضاءه متى ما يحكم، فهـو بالحق صادع
أتـتني تميمٌ حين هابت قضـاتهـا وإنّي لبـالـفضـل المبـين قاطـع
سأقضي قضـاءً بينهـم غير جائـر فهـل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امريء لا يتقي الشتم بينهم وليس له في المـدح منهم منـافع[٤]

وزياد الأعجم العبدي: وهو أحد موالي عبدالقيس. ويروى أنّ الفرزدق همّ بهجاء بني عبدالقيس، فبعث إليه زياد «لا تعجل حتى أهدي لك هدية»، فانتظر الفرزدق، فبعث إليه هذه الأبيات:

ومـا ترك الهـاجـون لي أن هجـوته مصـحـاً أراه في أديم الـفـرزدق
ومـا تركـوا عظماً يسرى تحت لحمه لكـاسره أبـقـوه للمـتـسـرق
سأكسر ما أبقـوه لي من عظامـه وأنكث مخ السـاق منـه وأنتقي
وإنّـا ومـا تهدي لنـا إنْ هجـوتنـا لكالبحر، مهما يلق في البحر يغرق

فلمّا وصلته قال: «ليس إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد»[٥].

والأعور الشني العبدي: وهو أحد فحول شعراء العصر الإسلامي، ويقال أنّ المهلب بن أبي صفرة أمره في إحدى المعارك بالنزول إلى ميدان القتال ويبارز، فامتنع وقال:

يقـول لي الأمـير يغـير حزم تقـدم، حين بنـا بنـا المـراس
فما لي إن أطـعـتـك من حياة ومـا لي غير هذا الـرأس راس[٦]

وعمر بن أسوى العبدي: ومن شعره في الفخر:

ومـا أنـا بالناسي الخليل ولا الذي تغـير إن طال الـزمـان خلائقه
ولـسـت بمسنـان على من أورده ببر ولا مسـتخـدم من أرافقـه[٧]

وهناك غير هذه الأسماء ممن بخلت بذكرهم المصادر أو ارتبنا في تحديد مسقط رأسهم.

أمّا في العصر العبّاسي: فإنّ بعض المصادر تحدّثنا عن: عيس بن فاتك الخطي: الذي يقول:

لقـد زاد الحـياة إليّ حبّـاً بنـاتي، إنّهن من الـضـعـاف
أخـاف بأن ينلن الفقـر بعـدي وأن يشربـن رنـقـاً بعـد صافي

وأن يعـرين إن كسي الجـواري فتبنسو العـين من عرٍّ عجـاف
فلولا هن قد سومـت مهـري وفي الـرحمن للضعفـاء كافي[٨]

ومهذب الدين القطيفي: الملقب بأسير الهوى، ومن شعره:

عينـاك لحظهـا أمـضـى من الـقـدر ومـهـجـتي منهـا أضـحـت على خطر
يا أحـسـن الـنـاس لولا أنـت أبـخـلهـم ماذا يضرّك لو متّـعـت بالـنـظر
جد بالخـيال وإن ضنـت يداك به فقـد حذرت ومـا وفـيت من حذر[٩]

وأحمد بن منصور القطّان القطيفي البغدادي: وقد كان أديباً وشاعراً رحل إلى بغداد ومدح الأمراء، وتوفي فيها سنة ٤٨٠ هـ، ومن شعره:

يا قاتـلي بالـصـدود رفـقـاً بمـهـجـة شفـهـا غليل
أنـحـل جسـمـي هواك حتـى كأنّـه خصرك الـنـحـيل
غصـن من الـبـان حيث مالـت ريح الخـزامـى به يميل
يسطو علينـا بغـنـج لحظ كأنّـه مرهـف صقـيل
كما سطت بالحـسـين قوم أراذل مالهـا أصـول[١٠]

والسكوني العبدي: وهو من شعراء القرن السادس، ومن شعره:

تفـكـر في أمـور الـنـاس وانـظر إلى أحـوالهـم في كل حال
فإنّـك لن ترى إلاّ ظلومـاً شديد الحـرص في طلب المـحـال
رأوا أمـداً بعـيد فاسـتـنـامـوا إلى الأيّام، جهـلاً، والـلـيالي
عجـبـت من اجـتراحـهـم المـعـاصي أمـا يخشـون نقـمـة ذي الجـلال[١١]

والحسن بن ثابت الجذمي العبدي، وهو من شعراء القرن السادس أيضاً، ومن شعره:

الـعـز عزكـم والمـجـد مجدكـم والمـلك فيكـم، فقـد أعـطى وقـد وهـبـا
لم لا تجيرون مغـلوبـاً يصـيح بكـم ألـقـت عليه الـلـيالي دهـره نوبـا
ما تقـرعـون عبـاد الـنـاس حيث أنـا في سجـنـكـم وبـنـاتي تملأ الـكـتـبـا[١٢]

أمّا عصر الانحطاط، فشأن القطيف هو شأن سواها من البلاد العربية والإسلامية، يكاد لا يعرف أحدٌ من الباحثين عن هذه الفترة شيئاً، إلاّ ما نذر وندر.

ما بعد القرن العاشر:

ولم يتوصل أحدٌ من الباحثين حتى الآن ـ حسب اطلاعنا ـ على شاعر قطيفي جاء بعد الحسن الجذمي المذكور، غير أبي البحر جعفر الخطي (٩٨٠ ـ ١٠٢٨ هـ) الذي غرّد بأنغامه العذبة في سماء القطيف وغيرها من البلاد التي هاجر إليها[١٣] وهو من أشهر شعراء القرن الحادي عشر الهجري في البلاد العربية، لا أشهر شعراء القطيف فحسب. ومن شعره متشوقاً إلى وطنه:

كفـى حزنـاً أني بشـيراز مفـردٌ أبـاكـر ما يضـني الحـشـا وأرواحـه
وفـر هموم لو يضـيفـن يذبـلا تضـاءل واسـتـعـلت عليه أبـاطـحـه

وشوقاً لو استجلى سناه أخو الدجى ... لأغناه عن ضوء المصابيح قادحه
أحن فلا إلفي سوى هاتف الضحى ... يصارحني شكوى النوى وأطارحه
يقطع آناء النهار بنوحه ... إلى أن يرى وجه الظلام يصافحه
وإن له بعد الهدوء لجولة ... وأخرى،وأشجى النوح مالجّ نائحه
هل الله مستبق ذمائي بعودة ... إليها يريني الدمع قد هشّ كالحه[١٤]

وبعد أبي البحر هذا، تتكدس لدى الباحثين أسماء لا حصر لها من الشعراء، معظمهم من العلماء ورجال الدين الأجلّاء. رحمهم الله جميعاً[١٥].

على أنّنا نرى أنّ أبرز هؤلاء العلماء الشعراء هم:

الشيخ يوسف أبو ذيب (ت: ١٢٠٠ هـ)[١٦] ومن شعره في رثاء الحسين (ع) من قصيدة طويلة:

لهفي له وحريمه ... من حول مصرعه نوادب
ينديه بمدامع ... من حر أجفان سواكب
أحسين بعدك لاهنا ... عيش ولا لذّت مشارب

ومنها:

يا راكباً تعدو به ... حرف من القود النجائب
عج بالغري وقف على ... عتبات أحمى الناس جانب
واحبس على أعتابه ... واندب وقل والدمع ساكب
فجعتك حرب بالحسين ... وبالعشيرة والأقارب
تركوه مطعون الحشا ... تحت المضمرة السلاهب
يعلو بأطراف الأسنّة ... رأسه بدل المناكب
واشرح لنا ما راعنا ... بالطف من فعل النواصب[١٧]

والشيخ حسن التاروتي (ت: ١٢٥٠ هـ) صاحب العينية المشهورة التي مطلعها:

اللراعسية بالأجرع ... صبابة وجد فلم تهجع

ومنها:

فيا راكباً ظهر مجدولة ... شأت أربع الريح في أربع
تجافى الأباطح خرم الخروم ... وجرعها حزم الأجرع
إذا لمعت نار طور الغري ... فأنت بواد طوى فاخلع
وصلّ وسلم وصلّ واستلم ... لقدس أبي الحسن الأنزع
وناد وقل يا زعيم الصفوف ... ومركز دائرة الأجمع
قعدت وفي الطف أم الخطوب ... تقعقع في ضنك الموقع
جثت فجشى بإزاها بنسوك ... على ركب قط لم ترفع

أبيدوا فغصت بهم بقعة بها غص منهم فم الأبقع[١٨]

والزعيم أحمد بن مهدي بن نصر الله (ت: ١٣٠٦ هـ) الذي ورث عن أبيه الزعامة، وملئت حياته إثارة وإباء وقد خلف ديواناً ضخماً في أربعة مجلدات. ومن شعره:

ولأقذفن بكل حزق واسع عيسا تجد ألده وتزعزع
ولأحملن على الدجنة فتية يجبى لهم من كل فضل مرتع
فهم نجاد المجد أين تنجدوا وهم طلاع المجد أين تطلعوا[١٩]

والشيخ حسن علي البدر (١٣٣٤ هـ)، ومن شعره:

ومن ينظر الدنيا بعين بصيرة يجدها أغاليطا وأضغاث حالم
ويوقظه نسيان ما قبل يومه إلى أنّها مهما تكن طيف حالم
ولكنّها سحارة تظهر الفنا بصورة موجود بقالب دائم
ولا فرق في التحقيق بين مريرها وما يدعي حلواً سوى وهم واهم
فكيف بنعماها يغرّ أخو حجى فيقرع إن فاتت لها سن نادم[٢٠]

والشيخ محمد بن نمر (١٣٤٨ هـ) ومن شعره:

قوموا السمر هاشم والكعابا وامتطوا للنزال جرداً صعابا
وانسجوا من طرادها الترب سحبا تملأ الجو ظلة وعذابا
عارضاً يحمل الحمام ويسقيه بني حربٍ، شيبها والشبابا
فلكم من أكفها جرعتكم كأس ذل ذافته ذلاً وصابا[٢١]

والشيخ علي (أبو المكارم) العوامي (١٣٦٤ هـ)، ومن شعره:

ألا بأبي وبي أفدي حسينا أمام الدين والدنيا جميعا
فظلما أبعدوه ولم يبالوا بما فيه أتوا أمراً فظيعا
وعن دار النبي غدا طريداً ولما يرقبوا فيه الشفيعا
مليك أسلمته يد البلايا وفي أرض البلاد أمسى صريعا[٢٢]

وغير هؤلاء العلماء الشعراء؛ كانت هناك أسماء لم نتعرض لها اختصاراً، وقد ذكرته كثير من المصادر[٢٣].

ولا نظن، بعد هذه الجولة السريعة، أنّنا بحاجة إلى التذليل على أنّ القطيف بيئة شعرية ممتازة، فتراثها الشعري يشهد لها بذلك، ويعزّز هذا الرأي، وقاعها الأدبي الحديث، الذي يعتبر امتداداً طبيعياً لهذا التراث المشرف عبر تاريخها العريق.

◇ ◇ ◇

الفصل الثاني

الأربعون عاما

أهمية هذه الحقبة، وأثرها في الشعر القطيفي

إنّ اهتمامنا بدراسة شعر هذه الحقبة بالذات، كان له أكثر من علة، دفعتنا إلى تركيز الحديث حولها.

ولعلّ أهم هذه العلل والأسباب هو الأهمية التي تميّزت بها هذه الحقبة في تاريخ القطيف على جميع الأصعدة الحياتية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. الأمر الذي انعكس على الشعر القطيفي بصورة ملموسة، وترتب على ذلك وضع الشعر القطيفي في مرحلة انتقالية وجديدة؛ يقف الدارس أمامها محاذراً، نظراً لما تزخر به من ملابسات فنية وتاريخية.

فعلى الصعيدين السياسي والاقتصادي:

تقلّص دور المنطقة، واختلف شكلها، إذ أصبحت مجرد إمارة صغيرة تابعة للدولة السعودية الكبيرة، التي ضمتها إليها منذ عام ١٣٣١ هـ[٢٤]. وكانت قبل ذلك إحدى توابع الدولة التركية.

وكان لتعمير مدينة الدمّام الذي نشأ سريعاً؛ وانتقال إمارة المنطقة الشرقية من الأحساء إليها عام ١٣٧٠ هـ، وكذلك تعمير مدينة الخبر والجبيل والظهران ورأس تنورة وإنشاء الموانىء الاستراتيجية فيها، كان لكل ذلك السبب الرئيسي في إبعاد المنطقة ـ منطقة القطيف ـ عن الواجهة الاستراتيجية التي كانت تتمتع بها قبل اكتشاف البترول.

أضف إلى أنّ اكتشاف البترول وانتعاش المنطقة الاقتصادي؛ عملا على التأثير المباشر في الحياة الاجتماعية القطيفية، ووضعا لها نظماً جديدة، وأورثا عدة إيجابيات وسلبيات معقدة[٢٥].

وأمّا على الصعيد الثقافي:

فقد كان التعليم النظامي الذي بدأ دوره الحقيقي[٢٦] سنة ١٣٦٧ هـ هو الطريق الذي اتصف بسعة الرقعة من حيث إيصال الثقافات الأوّلية إلى أغلب أفراد الشعب القطيفي. وبذلك امتزج دوره بالدور الريادي الذي تؤديه دور الكتاتيب المعمول بها سلفاً في حقل التعليم.

كما أنّ الثقافات الحيّة المنوّعة والتي كانت تبثّها الكتب وسائر وسائل الإعلام الحديثة المختلفة من صحف ومجلّات محلية وعربية، وإذاعات وغيرها، كانت تمثل حلقة الوصل التي جمعت بين العالم ومتغيراته من جهة، والمثقف القطيفي من جهة أخرى في وعي شامل لجميع نواحي الحياة العامّة.

وبذلك خلص المجتمع القطيفي إلى شخصية جديدة وأسلوب حياة جديد، جديد في تفكيره وتعامله مع الأمور وتقييمه المواقف العامة، وتحديد مرتكزاته.

ونتيجة لكل هذه المقدّمات: مثل الشعر القطيفي الحديث (شعر الحقبة المذكورة) شكلاً من أشكال التطور والتغيُّر الحياتي الذي تشهده المنطقة وتعيشه، ولم يعد مجرد ترديد أنغام مكرورة وتركيب تعابير جاهزة

أكل الدهر عليها وشرب، بل أصبح طريقة عصرية للتعبير الفنّي عن مكنونات نفسية ومرتكزات فكرية، جديرة بالاهتمام والدراسة الموضوعية.

وسوف يرى القارىء الحصيف أموراً تمتد إلى أعمق من هذه الحقبة، ولكنّه سيعرف، أيضاً، أنّ تحديدنا لم يكن شكلاً هلامياً اتكأنا عليه جزافاً.. فإلى ذلك الملتقى.

الفصل الثالث

البيئة الشعرية القطيفية الحديثة

ونقصد بذلك مظاهر النشاطات الشعرية البارزة في الشعر القطيفي الحديث، ودور هذه النشاطات في خلق بيئة أدبية لنشر الوعي الأدبي من جهة، وإظهار الأعمال الأدبية إلى حيّز التناول المحلّي أو الخارجي من جهة أخرى. ويمكننا اختصار ذلك في عدّة نقاط أهمها:

١ ـ النشر:

الدوريات والدواوين:

على الرغم من أنّ بعض شعراء القطيف قام بنشر بعض أعماله الأدبية عبر بعض الدوريات العربية والمحلية أو قام بطبع بعض دواوينه، إلاّ أنّ فرصة الإنتشار الفعلي للشعر القطيفي، أو لنقل الأدب القطيفي، لم تبلغ مستوى مقبولاً بعد!

صحيح أنّ بعض الشعراء قد حقّق شهرة لا بأس بها كعبّاس خزام ومحمد سعيد الخنيزي والشيخ الخطي وعبدالرسول الجشي والسيد حسن السيد ولا ننسى محمد سعيد المسلم الشاعر والأديب والمؤرّخ، أضف إلى هؤلاء حسن السبع ومحمد أحمد المعتوق وغيرهم الذين يكادون لا يغيبون عن الساحة، إلاّ أنّ ذلك كله لم يعطِ الصورة الحقيقية للأدب القطيفي الحديث بصورة خاصّة. إذ لا يزال جلّ أعمال هؤلاء الشعراء رهين المحابس، اللهم إلاّ في أحايين قليلة يجود فيها شاعر بإظهار بعض شعره لبعض أصدقائه المقرّبين أو يشارك ببعضه في مناسبة اجتماعية أو دينية، وهذا ـ فوق كونه أقل تقدير ـ لا يعطي الانطباع الحقيقي لواقع الأدب تحت أي ظرف من الظروف في أي مكان من الدنيا.

٢ ـ الاحتفالات الأدبية (الشعرية):

أ ـ شعر المناسبات:

وأهم هذه المناسبات؛ الدينية والاجتماعية، أمّا الأولى فتتعلق بأهل البيت (ع). إذ يقام في كل مناسبة سعيدة[٢٧] لها ارتباط بأهل بيت النبوة احتفال يشارك فيه بعض الأدباء والعلماء والشعراء والمثقفين ببعض إنتاجهم الأدبي أو الفكري إحياء لهذه المناسبة من جهة ونشراً للتوعية الدينية والأخلاقية والاجتماعية من جهة أخرى.

وعادة ما تشكل لجنة خاصّة لمراجعة النصوص المقرّر إدراجها ضمن برنامج الحفل، وتنظيم سيره حتى نهايته.

وأمّا المناسبات الاجتماعية فتقام في بعض مناسبات الزواج أو حفلات تأبين بعض رجال المجتمع البارزين. وهذه المناسبات، كالمناسبات الدينية، يقف فيها الشاعر عند حد طبيعة المناسبة وشكلها وظروفها.

ومع ذلك، كان لشعر المناسبات دور لا ينكر في تهيئة الأجواء الأدبية في المنطقة وإظهار بعض المواهب الشعرية المدفونة.

وجدير ذكر أنّ أكثر المناسبات المعاصرة أهمية ـ من الناحية الأدبية ـ هي تلك المناسبات التي يقيمها أهالي سيهات والقطيف وتاروت والقديح كل في بلدته، على أنّ مناسبات القديح الأدبية ـ بالذات ـ هي التي لا تزال تعطي الكثير الكثير من الإنتاج الشعري الممتاز في بعض أحاينه، بحيث لا تمر مناسبة دينية إلاّ وأُقيم لها احتفال يضم جمهوراً غفيراً من مناطق عديدة.

ب ـ الأمسيات الشعرية الرسمية:

وهذه تقام عن طريق بعض الأندية أو بعض المؤسسات الرسمية وتشرف عليها جهات رسمية من قبل الدولة.

وهذه النشاطات مع تعدد مواضيعها وأغراضها، إلاّ أنّها لم تنل من الانتشار قدراً يكفل خلق جو أدبي كشعر المناسبات سابق الذكر، نظراً لقلتها وتباعد أزمنتها والتزامها الرسمي.

وأهم أندية المنطقة المهتمة بتنظيم مثل هذه الأمسيات هي: نادي الخليج بسيهات، نادي الترجي بالقطيف، نادي الهدى بتاروت، نادي السلام بالعوامية.

وهناك نشاطات مماثلة تنظمها جمعية الثقافة والفنون يدعى فيها بعض شعراء المنطقة وكذلك النادي الأدبي الذي تأسّس حديثاً في المنطقة الشرقية.

٣ ـ التكتلات الأدبية:

ونعني بها الاجتماعات الأدبية أو صالونات الأدب ـ كما يسمّيها بعض الدارسين ـ وهذه كانت في الخمسينات والستينات الميلادية ذات آثار واتجاهات فكرية منوعة، إلاّ أنّها انقطعت وأغلقت مكتبتها وتفرّق أعضاؤها فيما بعد لعدّة ظروف.

أمّا في مثل هذه الأيّام فإنّها لا تكاد تذكر اللهم إلاّ وجود علاقات شخصية بين بعض الأدباء والشعراء الكبار، وهذه العلاقات لا تترتب عليها متابعات أدبية بشكل يمكن ملاحظتها أو ذكر أهميتها، وهو ما يدعو على الأسف.

وهناك بعض الشعراء الشباب من يحاول لم شمل الشعراء الشباب وربط علاقات أدبية تتخللها اجتماعات وندوات صغيرة وزيارات لبعض الشعراء والأدباء الكبار للاستفادة منهم ومن توجيهاتهم واستشفاف آراءهم. ومع ذلك لا تزال هذه المجموعة الشبابية في دائرة ضيّقة من النشاط الأدبي الفعلي.

الاتجاهات الفنّية في الشعر القطيفي

تأثّرت القصيدة القطيفية، على مدى العصور باعتبارها جزءاً من القصيدة العربية، بكل أطر ومتناولات القصيدة العربية، فكانت القصيدة الجاهلية «الخطية» تمثل ذات الملامح التي تتميز بها القصيدة العربية الجاهلية، وكذلك القصيدة الإسلامية والعبّاسية، وقصيدة الفترة المظلمة أيضاً.

إذن: ليس من البدع قولنا: إنّ القصيدة القطيفية الحديثة تمثل جميع التباينات الفنّية الموجودة في القصيدة العربية الحديثة. بمعنى أنّ الإتجاهات الفنية المعروفة في عصرنا هذا؛ من كلاسيكية ورومانسية وبرناسية ورمزية وأخيراً السريالية، كلّها اتجاهات تأثّرت القصيدة القطيفية بها، مما يدلل على مواكبة الشعر القطيفي ـ بل الأدب القطيفي ككل ـ لمستجدات العصر ومتغيراته مواكبة فعلية ومباشرة..

وسوف نذكر ـ هنا ـ الاتجاهات الفنية في الشعر القطيفي، ولكنّنا سننحو منحى تاريخياً مقتصرين على الإشارة السريعة، طمعاً في الاختصار وابتعاداً عن الإسهاب والإطناب.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى حقيقة مهمة في هذا المضمار، وهي أنّ كثيراً من الشعراء القطيفيين لم يلتزم مذهباً فنيا بعينه، بل إنّ منهم من أخذ من كل مذهب بطرف، فظهرت في شعره عدة اتجاهات. ولعلّ الشيخ عبدالحميد الخطي أقرب مثال على ذلك، إذ نجد في شعره الكلاسيكية والرومانسية والبرناسية والرمزية أيضاً!

كما نجد من شعراء الشعر الحديث من يعاود كتابة الشعر العمودي في المناسبات كعمر الشيخ[٢٨] وحسن السبع وغيرهما أو من يكتب اللونين بمناسبة أو بدون مناسبة كحسين آل رقية.

وعلى ذلك.. كانت لنا هذه الوقفة السريعة لتفهم بعض المتغيرات الفنّية أخذاً بعدة محاذير نقدية وخوفاً من إهمال ما يهمنا إيراده..

ونرى في حديثنا هذا أن نقسم الموضوع إلى قسمين:

أولاً: الاتجاه التقليدي (الكلاسيكي):

وأهم ما يميز هذا الاتجاه في الشعر القطيفي هو عدم اقتصاره على الشعراء كبار السن، بل تعدّاهم ليصل إلى بعض الشعراء الشباب أيضاً، مثل عبدالكريم آل زرع وجاسم عبدالشهيد ومحمد مكي الناصر والسيد زكي الشاعر وعدنان أبو المكارم وغيرهم.

والواقع أنّ بعض الشعراء الكلاسيكيين من يمتلك موهبة شعرية ممتازة وحس أدبي رفيع مثل الشيخ علي الجشي ـ رحمه الله ـ وملا علي الرمضان وملا عبدالكريم الحمود ومحمد علي الناصر والشيخ سعيد أبو المكارم، والشيخ ميرزا البريكي وأحمد الكوفي وغيرهم.

والواقع ـ أيضاً ـ أنّ القصيدة القطيفية التقليدية الحديثة نادراً ما يعتورها من الألفاظ ما يحوج قارءها أو سامعها إلى مراجعة المعاجم اللغوية، إذ أنّ مبناها العام يتصف بطابع سلس، كما تتصف معانيها وأخيلتها بسهولة التناول وعدم التعقيد.

ويلاحظ على هؤلاء الشعراء ـ الذين يغلب على شعرهم الاتجاه الكلاسيكي ـ اقتصار أغراضهم الشعرية على نواح معينة فقط كمدح ورثاء أهل البيت (ع) والإخوانيات وبعض الأغراض التقليدية الأخرى، اللهم إلاّ النزر اليسير منهم[٢٩].

ثانياً: الاتجاه التجديدي:

وهو في رأينا ـ قسمان:

أ ـ الشعر العمودي:

ولعلّ هناك من النقّاد من يعتبر هذا الشعر كلاسيكياً، إلاّ أنّ هذه الكلاسيكية لا تكاد تلمس إلاّ في الشكل الخارج للقصيدة، وهو التزام عمودالشعر، أمّا المحتوى الحقيقي للقصيدة (من تجديد في استعمال اللفظة الشعرية وتطوير في المعاني وتركيب في الأخيلة والصور) فهو تجديدي كما هو قائم وملموس.

ولقد كان للنهضة الأدبية الحديثة التي قامت بها المدارس الشعرية الحديثة كمدرسة الديوان ومدرسة المهجر ومدرسة أبولو الدور الحقيقي في تحديث الشعر القطيفي وتطوير أساليبه ليساير ـ بذلك ـ الواقع الذي يعيشه العصر. إذ كان شعراء القطيف يتابعون المستجدات الأدبية عن طريق الكتب والدوريات والدواوين التي تلفظها المطابع بين الفينة والأخرى[٣٠].

ويتفق كل من محمد سعيد المسلم[٣١] وعبدالعلي آل سيف[٣٢] ومحمد سعيد الخنيزي[٣٣] والشيخ عبدالله الخنيزي[٣٤] على أنّ الشيخ عبدالحميد الخطي هو رائد الحداثة من شعراء القطيف.

أمّا شعراء هذا الاتجاه فإنّ إحصاءهم ليس مكانه هنا، نظراً لكثرتهم.

ب ـ الشعر الحديث:

وقد ظهر ـ فيما يبدو ـ في بداية الستينات الميلادية، على يد محمد سعيد المسلم، فهو رائده القطيفي، إلاّ أنّ إنتاج الأستاذ المسلم لا يزال يمثل سطحية فنية إذا ما قارنته بالدكتور أحمد الشويخات الذي أغرق شعره بالسريالية[٣٥].

وعلى كل؛ فرض الشعر الحديث بألوانه المتعددة شخصيته الأدبية على الساحة القطيفية ليشكل جزءاً غير يسير من الشعر القطيفي الحديث، وقد كثر عدد الشعراء الذين يعالجون هذا اللون من الشعر وخاصّة في الآونة الأخيرة من النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ولعلّ أهم هؤلاء الشعراء ظهوراً على الساحة هم: المسلم والدكتور الشويخات ومحمد أحمد المعتوق وعمر الشيخ ونهاد الجشي وحسن السبع وحسين آل رقية وعادل خزام والسيد محسن الشبركة وفاضل العماني وفاضل الصويمل ومحمد رضي أبو عبدالله وغيرهم.

هذه هي أهم الاتجاهات الفنية في الشعر القطيفي الحديث، ولعلّ هناك بعض التقصير في العرض، وهو عدم التعرّض للاتجاهات بشكل دقيق، وكذلك عدم إيراد بعض النماذج الشعرية للتدليل.

ولم أتعمد ذلك إلاّ لأنّني قد فعلت ذلك في ثنايا هذه الدراسة ـ كما سيرى القارىء ـ وأنّني أشرت إلى أهم نقاط الموضوع، وخير الكلام ما قلّ ودلّ!!.

الفصل الرابع

من أنواع الشعر القطيفي

أ ـ المنظومات «الشعر التعليمي»:

وهذه المنظومات عادة ما تكون ذات طابع سردي أو تجميعي يشوبه الجفاف والبعد عن الوجدانيات لإنسانية كما هو الحال في الشعر التعليمي بصورة عامة.

ولقد كان للقضايا الفقهية والعقدية وما يتصل بهما، الظاهرة الملحوظة التي اتصف بها العلماء في لمنطقة، ومن ثم اتصف الشعر القطيفي. فقد كانوا يقومون بتدوين بعض هذه القضايا في قالب أدبي نظوم، ومن هؤلاء العلماء العلّامة الشيخ علي الجشي(ره) والشيخ فرج العمران(ره) وغيرهما.

هذا جانب علمي. وجانب آخر اتصف بمنحى تاريخي حاول تأريخ المنطقة وما حولها وما تمخض نها من متباينات مختلفة، لعلّ أشهر ما دخل ضمن هذا النوع هو:

١ ـ منظومة «ماضي القطيف وحاضرها» للملا علي الرمضان، وهي على وزن الكامل. وهي معروفة بمشهورة، وقد نحى فيها منحى سردياً قدم لها تقديماً جميلاً بقوله:

يا خط يا وطن الكرام ألا اسمعي ... ماذا يقـول فتـاك ذاك الألمـعي
يا خط أرضـك تربـة محبـوبـة ... وهـواك ملء حشـاشتي والأضلع
يا أرض سكنى الغابرين ومن مضى ... من أهـل ودي أنت أكـرم موضـع
بلد قضيت به الشبيبـة والصبـا ... ومـرحت في أكنـافهـا والأربـع
بلد يعـز عليّ حقـاً هجـرهـا ... هل كيف أهجرها وفيها مربعي[٣٦]

ثم انتقل بعد ذلك إلى الإشارة إلى بعض رجالات المنطقة من العلماء والأدباء ماضين ومعاصرين در ما استطاع إحصاء ونظماً. والواقع أنّ قيمة هذه المنظومة الحقيقية هي مادتها التاريخية[٣٧].

٢ ـ منظومة في تاريخ الخليج العربي على بحر الرجز لعبدالرسول الجشي، إلاّ أنّه لم يتمّها. ولا أظن ه فعل ذلك إلاّ لأنّ هذا اللون من الشعر ينقص من قيمة شاعر مبدع مثله، صحيح أنّ الشعر التعليمي يد كل البعد عن الشعر الآخر من حيث المادة والموضوع، إلاّ أنّه يؤثّر في استقلال الشاعر ويعيده إلى وراء دون أن يشعر. وقد أدرك عبدالرسول الجشي ذلك فلم يتم منظومته:

إقرأ هذه الشريحة اليسيرة من هذه المنظومة ثم قارنها بشعره الآخر:

نول في تاريخ بلاد البحرين:

قد كانت البحـرين مذ كان الزمن ... وقبـل أن تأهـل نجـد وعـدن
كذا دووا الآثـار طرا قرروا ... من بعـدمـا قد نقبـوا وفكـروا
وأوردوا من بعـد ذاك أنّها ... أصـل الحـضـارات فكـلّ دونها
ففـي شواطـيهـا الحياة ازدهـرت ... وفي شواطيهـا القـلاع نشرت[٣٨]

٣ ـ منظومة (مضر) في تاريخ القديح، للملا محمد علي الناصر.

٤ ـ منظومة (قصة القديح شعراً) للملا محمد علي الناصر عرض فيها للقديح متعرضاً لبعض من ملامحها الطبيعية والتاريخية والفكرية والتراثية والحياتية بأسلوب سردي تقريري لا يخلو من فكاهة. وهي على بحر «الرجز»[٣٩] ومنها هذه المقطوعة وقد تعرّض فيها لبعض عادات البلدة في موضوع الزواج:

سبعة أيّام بها العروس ... يجلس ثم ينتهي الجلوس
يبارك الأنساب والأصحاب ... له ويحلو منهم الخطاب
وليلة الثالث من بعد العشا ... يزور بيت عمه منتعشا
ويحضر الطعام والمشروب ... والسورد والبخور نعم الطيب
وسابع الأيّام من قرانه ... يذهب زوج البنت مع إخوانه
لبيت عمه ليأكل الغدا ... مزعفراً مهيلاً مزودا
بأكثر الفواكه الفريدة ... أكرم بها من عادة حميدة[٤٠]

٥ ـ منظومة في القطيف أيضاً، للسيد منير الخبّاز، تشتمل على عدّة نواح تاريخية وجغرافية وفكرية تخص المنطقة، وقد بلغت أبياتها ما يقارب الخمسمائة من الأبيات الرجزية. ومنها هذه الشريحة:

كان لنا حصن يسمّى القلعة ... العز في رحابه والرفعة
أسسه الصيد الكرام البررة ... وأرخوا تأسيسه في حجرة[٤١]
حتّى سُمى ذاك البناء الأرفع ... تزهو الدراري حوله وتسطع
بناه أرباب النهى والفكر ... مشابهاً لسرطان البحر
تفاؤلاً بالخير والسلامة ... كما أفاد جدنا العلّامة[٤٢]

وهناك من المنظومات الشعرية ما لم يتسع لنا المجال للحديث عنها أو الإشارة إليها، نأمل أن يتحقق لنا ذلك مستقبلاً.

ب ـ الملحمة:

ولا أعلم أنّ أحداً خاض هذا الفن من الشعراء القطيفيين عدا عبدالرسول الجشي، وأظن ـ ولعله الصواب ـ أنّه حينما أدرك أنّ تجربة المنظومة سوف يدركها الفشل الذريع قطعها واتجه نحو الملحمة متعرضاً لذات الموضوع بأسلوب يتواءم والنهضة الأدبية التي يميل إليها ومن ثم أحرز القيمتين ـ الفنية والموضوعية ـ فكان بذلك رائداً للملحمة القطيفية، إن لم أقل: رائداً للملحمة الخليجية!!.

ومعروف أنّ هذه الملحمة نشر بعضها في بعض الدوريات، وشارك صاحبها ببعض منها في بعض المهرجانات الأدبية في العراق. وهي غنية عن العرض والتعريف.

ج ـ القصة:

وهي كما وصفها السيف، إمّا أن تكون كلاسيكية السمة، وهي في ذلك تفتقر إلى مزيد من الخصائص الفنية، أو متجددة. والأخيرة اهتمت ـ في غالبيتها ـ بالقضايا الاجتماعية، كقصص حسن اليوسف ومحمد رضي أبو عبدالله وغيرهما. كما اهتمت بالقضايا العاطفية كذلك، مثل قصص الشيخ الخطي ومحمد سعيد الخنيزي وعبدالواحد الخنيزي وغيرهم[٤٣].

والواقع إنّ القصة الشعرية القطيفية تختلف من حيث المعالجة والنتيجة عند الشعراء تبعاً لنوازعهم

لنفسية والفكرية. فهي قائمة عند محمد سعيد الخنيزي والشيخ الخطي، بينما نجدها باسمة النهاية عند عبدالواحد الخنيزي ومحمد رضي وحسن اليوسف، وربّما بدت جادة في صورة هزل ضاحك كقصة «ديك الجن» لمحمد رضي أبو عبدالله.

والقصّة الشعرية القطيفية متوفرة من حيث الكم والكيف، ولا ينقصها إلاّ فرصة الانتشار وهو ما ينقص الأدب القطيفي كله، كما نعيد ذلك مراراً وتكراراً!!!؟

الفصل الخامس

أغراض الشعر القطيفي الحديث ودوافعه

دوافع الفن بصورة عامّة ـ والشعر على وجه الخصوص ـ كثيرة، وهذه الدوافع لا تتأتّى من فراغ أو صدر من لا شيء بطبيعة الأحوال، بل هي تبرز لتخلق من الشكليات المتعددة ملامح تترجم الواقع أو تقوم حول إمكاناته الفنية فتظهر في صورة مختلفة مثلما يتفق لها في أغلب الظروف والأماكن.

وأقصد من وراء ذلك أنّ الشعر القطيفي الحديث ـ باعتباره مجال حديثنا ـ ترجم ولا يزال يترجم من لشكليات المتعددة كثيراً من مكنوناته النفسية والفكرية، وقدم لنا ـ عامّة القرّاء ـ نماذج حيّة تدل على واقع دبي ممتاز، وإنْ لم يكتب له الظهور الحقيقي، أو تغافلت عنه أقلام الآخرين.

وكانت لهذه المكنونات ـ الفكرية والنفسية ـ جذورها وأبعادها، فهي بذلك عملت على ترسيخ لشخصية الفنية المتميزة وتوضيح الملامح الخاصّة بها ذاتاً، لا انقياداً للمستهلكات من الافرازات الفنية لأخرى.

وأخذاً بهذه الاعتبارات وغيرها وتجذيراً لمتطلبات الفن ونوازعه، برز الشاعر القطيفي ـ ككل ـ معبّراً عن مشاعره وأفكاره في كثير من فرص التعبير الممكنة حسبما تجيش به عاطفته الناتجة عن تجربته المتأثّرة بواقعه حياته. سواء على الصعيدين المباشر وغير المباشر. واستطاع من خلال ذلك إثبات وجوده الفعلي بين رفاقه من أصحاب هذ الفن.

وليس لدينا دليل على ذلك أقرب من دراستنا لأغراض الشعر القطيفي ومواضيعه، والتي كانت رغم ضيق الوقت والمجال ـ حافزاً حقيقياً لأن يخوض الدارس غمار هذا الكم الهائل من النصوص لمتفاوتة ضعفاً وقوة، المتباينة شكلاً ومضموناً، ناتجة عن عدد كبير من الشعراء، بكل ما يحملون من تجاهات فكرية وفنية تتفق أو تختلف وفق مداركهم ومشاربهم.

وبما أنّ ضرورة العمل المنهجي تتطلب من الباحث تصنيف مادة بحثه تمشياً مع طبيعتها، وإنّ وقتي لذي أملكه لإنهاء الموضوع لا يسمح لي بأن أطلق عنان القلم، إذا كان للقلم عنان!!!

بين هذا وذاك؛ أخلص إلى نتيجة الاقتصار على الإشارة السريعة كحد أقصى، ثم استعراض نماذج لمختلفة، تدلل على ما قرّرناه سلفاً.

وعلى ذلك أستطيع أن أقرّر وأقول أنّ أهم أغراض الشعر القطيفي الحديث هي :

آ ـ أغراض دوافعها دينية :

وقد برزت ـ أكثر ما برزت ـ في أغراض جزئية أهمها :

١ ـ مدح ورثاء أهل البيت (ع) والمنافثة عنهم فكرياً .

٢ ـ وصف مصابهم وتعديدها وتهويلها .

٣ ـ الإصلاح الديني والأخلاقي والفكري والدعوة إلى الدين القيّم .

٤ ـ هموم الأمّة الإسلامية وواقعها المؤلم .

ب ـ أغراض دوافعها قومية أو وطنية : وهذه برزت على شكلين :

١ ـ الوطنية الإنسانية (وهي ارتباط الإنسان بالأرض) .

٢ ـ الوطنية السياسية : وقد كانت القضية الفلسطينية على رأس قائمة موضوعات الشعر الوطني القطيفي ، فيما يبدو.

ج ـ أغراض دوافعها اجتماعية : واهم مواضيعها :

١ ـ النقد الاجتماعي وهو في غالبيته مرتبط بالإصلاح الديني المشار إليه سلفاً .

٢ ـ الإخوانيات الشعرية .

٣ ـ التهاني : وأغلبها في مناسبات الأعراس والمواليد وخلاف ذلك .

٤ ـ التعازي : وقد كان لرثاء بعض الشخصيات البارزة في المجتمع النصيب الأوفر من شعر التعازي القطيفي ، فيما يبدو.

د ـ أغراض دوافعها ذاتية :

يدخل ضمنها :

١ ـ الشكوى : وهذا الغرض من مميزات شعر القطيف وسمة من سماته .

٢ ـ شعر الحب (الغزل) .

٣ ـ الهجاء الشخصي!

٤ ـ الفخر.

هـ ـ أغراض دوافعها فكرية : ومنها :

١ ـ الفكر العقدي ؛ وهو ذو ارتباط بالأغراض الدينية .

٢ ـ فلسفة الحياة والناس .

٣ ـ والتأمّل في الظواهر الكونية المختلفة .

ولا يخفى على القارىء الكريم أنّ هناك أغراضاً جزئية أخرى، تتحد في مضمونها مع هذه الدوافع الكلية، وهي مرتبطة ببعضها غاية الارتباط .

ومن هنا نستطيع الانتقال إلى موضوع تكميلي يطلعنا، من خلال النماذج، على القوالب الفنية والجوانب الفكرية والنفسية في شعر القطيف .

. . فإلى الملتقى . . مع جولة في الشعر القطيفي . .

القسم الثاني:

جولـــة
في الشعر القطيفي الحديث

الفصل الأوّل
أهل البيت في الشعر القطيفي

جاء كتاب الشيخ علي المرهون «شعراء القطيف» وهو يضم بين دفتيه عدداً وافراً من الشعراء يفوق لعشرات بمختلف مستوياتهم . . ! على أنّه لم يشتمل إلاّ على الشعراء الذين قالوا الشعر في أهل البيت (ع) حسبما توصلت إليه نتيجة بحثه في ذلك الوقت(٤٤).

وإنّني ـ في هذا المقال السريع ـ لا أهدف إلى موضوع نقد هذا الكتاب وما يحمله من ضيق البحث الدراسة واقتصاره على جانب واحد من الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء الذين ترجم لهم الشيخ أورد نماذج شعرية لهم.

وإنّما أردت أن أخلص إلى نتيجة قائمة تدل على ذاتها بذاتها، وهي أنّ الشعر القطيفي أفرز من نصوص التي تعني بأهل البيت ما يجعل من دراسته أمراً يفتقر إلى التأنّي والتفرّغ. هذا إذا علمنا أنّ هناك ن الشعراء من يكاد لا ينبس ببيت من الشعر إلاّ وكان ذلك البيت يردد بين إيقاعاته وتفاعيله أنشودة من اشيد الولاء أو ترنيمة من مراثي البكاء. . الولاء لأهل البيت. . والبكاء من أجل ما أصاب أهل البيت ليهم السلام، ومن هؤلاء الشعراء العلاّمة الشيخ علي الجشي (ره) ـ على سبيل المثال ـ الذي يشهد له يوانه المطبوع بذلك.

وإذا كان أغلب الشعراء الكلاسيكيين عمل على ترديد النغمات المكرورة في موضوع أهل البيت تمول ملا علي الرمضان في مأساة الطف:

أبـا حسـن تدري برهـطك جزروا ... كجـزر الأضاحي، كيف عينك ترقد
وتلك مصـونـات الـرسـالـة أصحبت ... تهادى على الأكوار يحدو بها الـعـدو
يطاف بها في كل واد وبـلدة ... ويتـهـم فيهـا ركـب حرب وينجـد
فليتـك منبـا في الـسبـاء بمشهـد ... ومرأى، لكي يشجيك مرأى ومشهد(٤٥)

فإنّ هناك من ابتعد عن هذه التعابير الجاهزة والأفكار المستهلكة، إذ رأى أنّ مأساة الطف لم تكن ثورة من أجل المبدأ. . مبدأ الحق والدين. قال سعيد البريكي:

جددت للوجدان عهدا ... وبعثت للإسلام مجدا
سطرت في التاريخ أروع ... صفحة للحق تبدى
وهتفت فانتفضت لك الدنيا، ... بها، سهلاً ونجدا
وصرخت في الأجيال تبعث ... في الورى هدياً ورشدا[٤٦]

أمّا محمد سعيد الخنيزي فقد رآها مجداً من الدم الأبي . . قال مخاطباً الإمام الحسين:

يا منقذ الدين الحنيف من الأذى ... ومعيد زهرته إلى الريعان
أيقظت أفكاراً بظل غباوة ... أطلقتها من ذلة وهوان
ورفعت للأحرار أعظم راية ... خفّاقة كالنجم في اللمعان
فخططت يوم الطف يا بن محمد ... مجداً من الدم الأبي القاني[٤٧]

أمّا عبدالرسول الجشي فإنّه كان يراها بمنظار آخر نلمسه في قوله:

أهي الحقيقة أم خيال الساري ... أم تلك ومضة كوكب سيّار
قطعت دياجير القرون تنيرها ... فإذا حواشي الدهر زند واري
في النفس من أضوائها قبس له ... لطف النسائم واتقاد النار
لم يدرك العقل المهيمن سرّها ... وهي التي بزغت كشمس نهار
حاولت حلّ رموزها فتعقدت ... وتحجبت عنّي بألف ستار
لكنّ نور الشمس مهما غامت ... الأجواء منتشر على الأقطار
آمنت بالله العظيم وسرّه ... وعرفت فيه غوامض الأسرار
وعرفت أنّ الفتح فوز الفكرة ... العصماء عند تزاحم الأفكار[٤٨]

ولست أدري أما زال يراها بهذا المنظار أم تغيّر منظاره؟!!

ويقول محمد سعيد الجشي في السيد زينب (ع):

شهر الباغون سيفاً ظالماً ... وشهرت الحق في القول الجلي
أنت من نبع بطولات سمت ... وأشادت ـ في الدنى ـ دين العلي
أيها التاريخ قف واخشع لها ... إنّها بنت النبي المرسل
إنّها الزهراء في تباينها ... ترفع الحق بأعلى منزل
ساءلوا الكوفة عنها حرة ... ذات خدر لم ترع في المحفل
واسألوا عن يومها الشام ضحى ... حين وافتها بخطب معضل
أشعلت للحق فيها قبساً ... في بيان مفحم مرتجل
أيقظت فيها الملا صارخة ... وأزاحت حجب ليل مسدل
هزّت العرش الذي شُيِّدَ على ... أُسُسِ البغي بأمضى مقول
فارتمى البغي على أعتابها ... يتهادى تحت عار الخجل
هكذا الأسر لها حرية ... رفعت للحق أسمى معقل[٤٩]

ولم يكن موضوع أهل البيت في الشعر القطيف موضوع بكاء يعبّر عنه الشاعر القطيفي برثائه إيّاهم،

لا موضوع إعجاب بما يملكون من عظمة وكبرياء برز في قصائد المديح، لم يكن كذلك فحسب، وإنّما ان أعمق من ذلك وأبعد. كان أهل البيت ـ باعتبارهم الامتداد الطبيعي للرسول (ص) ـ المثل الأعلى لقدوة الحقيقية التي يجدر بكل مسلم أن يتخذهم مثلاً وقدوة، قال الشيخ مهدي المصلي في مديح فاطمة زهراء (ع):

أفاطم قلدت جيد الزمان ... بأفضالك الجمة العاطره
خلقت ملاكاً يبث الصفاء ... ليحيي أمتنا الجائره
خلقت مناراً يدل النساء ... على سبل العيشة الفاخره
فلا يحسب العز جري الفتاة ... على مدرج الفتنة الداعره
ولكن من كنت نبراسها ... وشمس هدايتها، ظافره

كما كان موضوع أهل البيت موضوعاً جدلياً تبعاً لكثير من الجدليات الصاخبة التي ما زالت قائمة ن الفرقتين (الخاصّة والعامّة).

قال السيدعدنان العوامي من قصيدة متعرضاً ليوم الغدير. ذلك اليوم التاريخي العظيم:

فيه الحياة بدت تلألأ بهجة ... أنس الحجيج لها فكاد يصفق
وتبسمت آفاقها مزهوة ... وأجل آهلها الصفاء المشرق
وغدى يضوؤها جلال أشعة ... علوية بسنا الهدى تتألق
فيما الخلائق تشرئب وكلّها ... أذن تصيخ ومهجة تتشوق
وإذا بصوت محمد يعلو بها ... وإذا القلوب بصوته تتعلق
هذا خليفتكم وسيد أمركم ... وإمامكم بعدي فلا تتفرّقوا
فاقفوا خطاه على الطريق فإنّه ... من غير حكمة ربه لا ينطق
الله أية دعوة لما تزل ... قبساً يشع على الوجود ويشرق
سيظل والتاريخ يشهد أنّه ... روح الحياة وإن أبى متزندق(٥٠)

ومن ذلك ما قاله بعضهم معالجاً قضية صلح الإمام الحسن (ع):

فيا بن ثقل الهدى، يا نجل فاطمة ... وأعلم الناس في بذل وإمساك
كشفت عنها نقاب الغش فاتضحت ... سرائر القوم من حقد وإشراك
ولم تصالح على خوف ولا ضعة ... ولا هدى لسقيم الرأي أفّاك
بل صنت أعراضها من هوك ضارية ... نكراء يعصف فيها سيف سفّاك
فصغت للدهر والتاريخ ملحمة ... عذراء طاهرة من ريب هتّاك
لم يثنك الناس عنها وهي كاشفة ... عن ساقها إذ تبدت بين أشراك

وبعد، نرى فيما قدّمناه من نماذج منوّعة دليلاً واضحاً على أنّ للشعر القطيفي نظرات منوعة لأهل بيت، وهي ـ في صراحتها ـ تنم عن العقيدة الصادقة والإيمان التام بأنّهم هم أحق الناس وأولاهم لأتباع.

ولئن كانت النماذج قليلة فلقد كان ذلك لضيق المقام، فجاءت الشرائح وكأنّها تلميحات عامة، وحسبنا بذلك عذراً.

الفصل الثاني:

رجال الدين

كان رجال الدين في القطيف يملكون من النفوذ الشعبية، مالا يملكه غيرهم، بل كانت بعض حيثيات هذا النفوذ تتوغل في نفوس أفراد الشعب القطيفي، وتؤثر في نفسياتهم وأفكارهم وقضاياهم اليومية، وتعمل في توجهاتهم المتنوعة إعمال المؤثر الموجه. حتى كان بعض أصحاب الذهنية العامية يعد من قول «الشيخ» حجة دامغة لا يقبل فيها الجدل أبداً حتى وإن كان قول «الشيخ» مما ليس من تخصصه ولا علمه في شيء!!.

أمّا الطبقات المثقفة المتدينة من أفراد الشعب ـ ومنهم أغلب الشعراء ـ فقد كانوا يدركون بوعي ونظرة سليمة ما يشغله رجل الدين من مكانة علمية واجتماعية فضلاً عمّا يتمتع به من تقى وورع وصلاح، فعظموه وبجلوه، وتفاعلوا معه أشد التفاعل وتأثروا به أغلب الأثر.

وبالتالي كان الشعراء في طليعة من عبّر عن هذا التفاعل الحاصل بين رجل الدين وبين الشعب وأفرزوا بذلك أعمالاً شعرية ظهرت في مناسبات شتّى وما يزال مطموراً في الإدراج معظمها. والواقع أنّ تعبيرهم عن ذلك لم يكن رغبة في نوال أو طمعاً في عطاء، بل كان تقرّباً إلى الله تعالى من جهة، وخدمة للحقيقة من جهة أخرى.. فوقف الشيخ ميرزا البريكي أمام السيد ماجد العوامي ـ رحمهما الله ـ مغتنماً فرصة مناسبة عيد الفطر المبارك ليهنئه بالمناسبة ويمدحه ويقول:

جاء هلال العيد بالبشرى ... يا حبّذا طلعته الغرّا
فيا نديمي قم بنا نحتسي ... ما لذّ من قهوتنا الحمرا
وشنف الأسماع في مدح من ... ايات عليا غدت تترى
أعني به «ماجد» بيت الهدى ... من شاد عزّاً وعلا قدرا
يا سائلي عن غر أوصافه ... أما ترى الشمس بدت ظهرا
ثغر بسيم بل محيّاه لا ... تراه إلّا يقطر البشرا
يا أيّها الماجد يا سيدي ... يا من به نال العلا فخرا
يا شعلة من قبس المصطفى ... ومن لنا قد جدّد الذكرى
هنيت بالعيد وإنّي أرى ... تهنئة العيد بكم أحرى
هنيت بالفطر ولولاكم ... لم نعرف الصوم ولا الفطرا
فقد سعدتم وسعدنا بكم ... لذلك استوجبتم الشكرا
فأنت من أكرم جرثومة ... من معشر سادوا الورى طرا[٥١]

كما وقف عبدالرسول الجشي أمام الجماهير ليؤبن الشيخ أبا الحسن الخنيزي ويقول:

جددت عهداً للمعارف ذاهباً ... ونجدت شعباً للتحرر وائبا

ودأبت جهـدك للشباب موجهاً فخلقت فيه كفاءة ومواهبا

ثم يسترسل في تعديد مآثر الشيخ بأسلوبه الخطابي المتجدد، ثم يقول:

فلو أنّ للأيّام عيناً لا اهتدت بخطاك وانتهجت سبيلك لاحبا
ولّما تعامت عن هداك وهذه آثارك الحسنى تشع كواكبا
إيه أبا الحسن استمع لمقالتي واحلم علي فما عهدتك غاضبا
هذي بلادي قد أضاعت رشدها وتمزقت ـ بعد الوئام ـ مذاهبا
نفضت جناحيها ولو تركتهما لرأت لها بين النجوم مساربا(٥٢)

ولمحمد سعيد الجشي في رثاء الشيخ علي أبي عبدالكريم الخنيزي، رحمهما الله:

ما كافئوك على النبوغ تفوقاً وعلى البنا إذ شدت مجداً هدما
كتموا لك الحسد البغيض بصدرهم ما كان أجهلهم بذاك وألأما
إن يحسدوك فإنّما حسدوا السنى من نور شمس في العوالم قد سما
والمجد مجد العاملينّ إذا ونى وآنٍ فلم يصعد ذرى أو سلّما
ألف الحضيض فلم يزل بوهادة والعبقري الفذ يفترع السما
والصخرة الصمّاء تأبى عزة من أن تكسرها الوعول وتهشما(٥٣)

ويفهم من مقطوعة الجشي أنّ هناك من أساء إلى الشيخ إساءة دست في إحسانه.

أمّا السيد حسن السيد فإنه يقول في رثاء الشيخ حسين البلادي «القديحي»:

لا تسلني! إنّني في حيرة أنا لا أرجو لذا الجرح التئاما
ليس من يندب أياماً مضت مثل من يندب للدين دعاما
كانت الآمال في محرابه تتخطى قمم المجد جساما
فذوت كالورد في أكمامه ليتها لم تعتنق ـ بعد ـ الرغاما(٥٤)

وهو في ذلك يقوم بعمل موازنة بين ذاته كقيمة معنوية قبل أن تكون فنية وبين مكانة رجل الدين، ويرجح مكانة رجل الدين! وهي فكرة لم يسبق لها..

كما أنّ أحمد الكوفي يقول:

يا خط تلك رجال الدين من لهم كانت تشد لك الأكوار والحدج
قوم قضوا للمعالي حقها وعلوا أعلى مدارج أجواء العلى درجوا
هم زينة الخط أحياء ومهجتها في ذكرهم تزهر الدنيا وتبتهج(٥٥)

وإذا ما حاولنا تتبع ما عالجه الشعر القطيفي من أغراض تتعلق برجال الدين من مدائح ورثاء ومراثي وغيرها فإنّنا لن ننتهي من إنجاز رغبة «الموسم» لوفرته وتشعبه.

على أنّ هناك شاعراً قطيفياً واحداً، لا تزال تتذكر له قصيدته التي قالها في رجال الدين، والتي تبنّى فيها موقفاً محاكياً تماماً لموقف غيره من شعراء القطيف!! إذ رأى أنّ رجال الدين ـ في نظره ـ لصوص استغلاليون!! والعياذ بالله..

يقول تحت عنوان «بعض رجال الدين»:

ضعت يا شعب بين كل معمم جشع فاتح اللهى فاغر الفم
بين قوم تبدو عليهم سمات الزهد في شكلهم وعفة مريم
فإذا ما خبرتهم ملأوا قلبك رعباً وسادك الهم والغم
أسرفوا في الريا واستعبدوا العالم واستخدموا من الدين سلم
فتراهم مثل اللصوص وصوليين لا يفقهون شيئاً محرم
كم تمادوا على حقوقك باسم الدين حتى غدوت نهباً مقسم
كيف تنفك من عقالك يا شعبي فيرجى إليك أن تتقدم؟!

ويقول:

رجال الدين ـ جلهم ـ على استغلالك اتفقوا
وقد فسدت ضمائرهم فيا وطني بمن تثق[٥٦]

ولأنّه كان يحمل ـ في نظر المتدينين ـ فكراً خاطئاً فقد وقف ضده الكثيرون منهم من اتخذ من العصبية الصريحة رد فعل لهذا التصريح، ومنهم من رأى أنّ الموقف الفكري المحتفظ بالود أجدر أن يتبع، وأنّ أي اختلاف في الفكر ـ أيضاً ـ لا يفسد في الود قضية! ومن هؤلاء المختلفين معه فكراً المتفقين معه وداً، صديقه محمد علي الناصر الخطيب المعروف، الذي قال مشيراً إلى قصيدته راداً على فكرتها:

كم ضربة في الخط قاست جرحها بلدي وكم كأس الأسى تتجرع
أكذا نهايتنا حياة كلها ألم ألا متحفز متوجع؟
وأخيرها «يا شعب ضعت» قصيدة أسفاً يفوه بها أديب مصقع!!
ما ضاع شعبي بين كل معمم إنّ العمائم للمنار الأرفع
بل ضاع بين الحاقدين عليهم لا إنّ أصحاب العمائم ضيعوا[٥٧]

وقد قال محمد علي الناصر هذه الأبيات ضمن قصيدة رثى بها الشيخ فرج العمران ـ رحمه الله ـ وألقاها في تأبينه. ومعروف عند أهالي القطيف أنّ الشيخ فرجاً رحمه الله، توفي ولم يخلف من المال إلاّ سبعة من الريالات السعودية وحسب. وهو ما لا يساوي ـ في هذه الأيّام ـ الدولارين!!

والواقع أنّ محمد سعيد المسلم لم يكن الشاعر الوحيد الذي قال مثل هذا الشعر في رجال الدين، فإنّ وجدي المحروس طرق هذا الغرض متبنياً فيه فكرة المسلم ذاتها. إلاّ أنّ ثمة فروقاً واضحة بين الشاعرين في معالجتهما الموضوع، وأهم هذه الفروق؛ هو ظهور النظرة المنطلقة من الموضوعية أولاً، وعدم التعميم ثانياً، بمعنى أنّ المسلم يكاد يقذف باتهاماته المساقة كل رجال الدين، بل هناك ما يشعر بأنّه يعارض بعض الأمور التشريعية معارضة صريحة، لا رجال الدين فحسب، وذلك في قوله:

عرقسوا بالمدى عظامك واستصفوك ما بنيهم كأنّك مغنم
وضعوا نصب عينهم رزقك المقدور واستأثروا بعائدك الجم
حالة تشمئز منها المروءات ويشجي لها الضمير ويألم
كيف تنفك من عقالك يا شعبي فيرجى إليك أن تتقدم؟!

إنّنا لا نجد مثل هذه الجرأة عند وجدي المحروس إذ يقول:

أصحرت ساحة النخيل من الفكر ... فعادت جدباء يا للغرابة
واغتدت بعد كونها منبت الفكر ... مكاناً تموت فيه النجابة
وبأحضانها تعيش التفاهات ... وأربابها فتشقى رحابه
وسوام الرجال فيه يحلون ... بوسم التقى وتاج المهابة
نصبت للعوام باسمك يا دين ... شراكاً سحقاً لها من عصابة
ليس ترعى في الله إلاّ ولا ... ذمة حق ولا تخاف عقابه
وهم ـ لو يعي بنوها المساكين ـ ... سقام تحار فيه الطبابة
أدعياء الدين الحنيف عليه ... كن تجنوا وما رعوا آدابه
سلبوا الشعب قوته واستباحوا ... ريع أتعابه بكل صلابة
ثم قالوا نحن الوصاة على الخلق ... بدعوى فقاهة ونيابة!!
ومضوا يرفلون في رغد العيش ... وأبناء قومنا في كآبة
كيف تغدو مباءة لذوي النهبة ... أرض النخيل دون رقابة؟(٥٨)

إنّنا لا نلمس عند وجدي ما نلمسه عند المسلم من اندفاع وتعميم،وإن كان نتيجة مشاهدة حقيقية عاشها الشاعر!

وعلى كل هذا وذاك، نفهم أنّ للشعر القطيفي من رجال الدين في القطيف موقفاً (مزدوجاً) بطبيعة الأمر، وأنّ الطابع الراضي ـ فيما يبدو ـ يشكل السواد الأعظم من هذا الغرض.

على أنّ هناك تجارب شعرية أخرى تعرّضت لرجال الدين من زاوية هجائية شخصية نرفع أنفسنا عن ذكرها هنا(٥٩)

وجدير ذكراً أنّ هذا الغرض لم يعرفه الشعر القطيفي إلاّ في الآونة الأخيرة من الزمان، وكان لذلك عوامله وأسبابه المختلفة التي لا مجال لاستعراضها ومناقشتها في هذه الدراسة السريعة.

الفصل الثالث

الوطن

إذا كانت الوطنية تعني تلك العلاقة الحميمة التي تربط الإنسان بالأرض، فإن الشاعر القطيفي عبّر عن هذه العلاقة المقدّسة بصدق. فكان يتغنّى بمفاتن وطنه تارة، أو يشكو فراقه وبعده، متعرّضاً لذكرياته وآماله وآلامه فيه تارة أخرى..

قال الشيخ عبدالحميد الخطي:

قالوا: القطيف، فقلت غاية قصدنا ... ألق المراسي أيها الربّان
وافيته والبدر يبسط ظله ... فوق الضفاف وترقص الشطآن
وعليه من نسج المساء ملاءة ... صفراء باهتة بها الألوان
والسفن أسراب تروح وتغتدي ... نوعان: ذا وان وذا عجلان

والشرع خافتة الشعاع كأنّما ... نفضت جناحا ـ في الفضا ـ العقبان
وزغارد الملاح ينشرها الدجى ... والبحر مصْغٍ كله آذان
ليل الشواطىء إن صدقت فإنّه ... كالغيب ليس تحده الأذهان
يا شعرا! حق للشواطىء وفه ... لا تمطلن كما تدين تدان
إن ضاق عن جري القوافي موطن ... فالبحر ـ لا عذر لها ـ ميدان
عفواً فكم معنى بذهني رائع ... ضاقت به الألفاظ والأوزان
يا بحرا! قد أودعت صدرك سرنا ... إذ ليس سر في الأنام يصان[٦٠]

على أنّنا مهما حاولنا التركيز على النماذج التي لم تتعرّض لها الأقلام من قبل فإنّنا لا نستطيع إغفال رائعة عبدالرسول الجشي الرائية، التي قالها بمناسبة الاحتفال الذي أُقيم على شرف الدكتورة بنت الشاطىء وزملائها، إذ يقول فيها:

هذي بلادي وهي ماض حاضر ... مجداً وآت بالمشيئة أعمر
ألقى عصاه على فسيح جنانها ... وعلى الجزائر عالم متحضر
وأقام فيها نهضة علمية ... بالعلم تسندها العقول وتنصر
وأذلت التيار تحت شراعها ... فلها عليه تحكم وتأمر
وشواطىء اليونان لم يبرح بها ... من ذكريات سفينها ما يسكر
ولها على وادي الفرات ودجلة ... فضل المعلم، وهو فضل يشكر
وطوى الزمان سجلها وتعاقبت ... من بعدها أمم طوتها الأعصر
وأتت ربيبة وهي غرة يعرب ... وأذبها يوم الكفاح وأصبر
وأعزها جاراً وأكثرها حمى ... إذ يمحل البلد الخصيب ويقفر
فرأت بها الوطن الخصيبة أرضه ... للماء فيه تدفق وتفجر
والنخل وارفة الظلال كأنّها ... جيش كثيف بالخليج معسكر
تهدي لها الصحراء في السحر الصبا ... فتمر كالحلم اللذيذ وتخطر
والبحر يهديها اللالىء زينة ... وتجارة فيها الغنى يتوفر
وكصفحة المرآة جو مشرق ... وكلوحة الفنّان ريف مزهر
دنيا بها من كل فن ساحر ... ولكل ما تصبوا النفوس مصور
ورأت بها لغة العروبة بيئة ... شعرية توحي وجواً يسحر
فإذا الضفاف نشائد مسحورة ... وكأنّها في كل حلق (مزهر)
الملهمون المبدعون تسابقوا ... فيها بمدرجه الخلود وشمروا
هذي بلادي في قديم عهودها ... علم وفن خالد لا يدثر
واليوم يدفعها الطموح لنهضة ... بشبيبها تسمو الشعور وتكبر[٦١]

أمّا شفيق العبادي فيقول:

وطني! ويا ألق الربيع إذا انثنى ... يهب البطاح نسائم الريحان
يا مرفأ للحسن يا «شمس الضحى» ... إن عانقت جسد الثرى بحنان
وكست أديم الأرض ثوباً دافئاً ... يغشى العيون بحسنه الفتان
يا من ملكت بما ملكت مشاعري ... وعواطفي وهواجسي وكياني

* * *

وطني! ويا مهد الحضارات التي ... سجد الزمان حياءها متفاني
غمرت بلاد الشرق من آلائها ... ومضت تشع بسائر الأوطان
لتحيل جدب الفكر من أعماقه ... خصلا يصب نداه في الأذهان
وتعيد نهج الأوّلين ودربهم ... للسائرين على هدى القرآن

* * *

وطني! ويا «معنى الشموخ» بكل ما ... حملت ثناياه خفي معاني
فلك الجلال من الخورنق كيـ ... ـف ظلّ مسايراً لحضارة الإنسان
تفنى الدهور بجانبيه ولم يزد ... إلاّ «الشموخ» على مدى الأزمان(٦٢)

ونجد مثل هذا الإعجاب الوصفي بالوطن ـ بمعناه الواسع أو الضيق ـ عند بعض الكلاسيكيين التقليديين أيضاً، يقول محمد مكي الناصر واصفاً وطنه «القديح»:

هي القديح فطف في الروض جذلانا ... وروِّ من مائها السلسال ظمآنا
وروح النفس في أطراف ساحتها ... وسرح الطرف بالأرجاء هيمانا
وانظر إلى الدوح في أبهى غلائله ... محملاً عنباً غضاً ورمّانا
واخلع ثياب العنا والبس بها حللاً ... رضوان قد صاغها للناس رضوانا
تعانق بالنخل يزهو في محاسنه ... كخرد لبست درّاً ومرجانا
وربوة عتمت بالزهر يانعة ... الغيث دبجها بالسيل هتانا
والشمس قد ألبستها من أشعتها ... مطارفاً قد بدت في الحسن ألوانا(٦٣)

أمّا عبدالله الشيخ فقد عرف الوطن، كما عرف فراقه، وعايشه معايشة عميقة، برزت في هذه المقاطع الرائعة، إذ هو الشاعر الذي أجبرته متطلبات الحياة وهمومها على العيش خارج وطنه «القطيف» فقال فيها:

تعشقتها طفلاً، وقد شاب مفرقي ... وما انفك عشقي ذلك الفارس الأقوى
عشقت مغانيها، تعشقت ناسها ... فتنبت بها شكلاً، وهمت بها فحوى
تعشقتها أرضاً، تنشقتها هوى ... ترشفتها ماء، تخيّرتها مأوى
تزوجتها خمسين زيجة ماخبا ... جمال جميل، ما رأيت لها صنوا
وأحببت منها ألف ألف جميلة ... فعلمتهن الطهر والفخر والزهوا
وطالعت ماضيها قصيدة شاعر ... وغنيت من أبياتها نغماً حلوا
على السيف كم أنشدتها من قصائدي ... وفي الصيف كم أعطيتها المزن والصحوا
ففي الحر أزجيها نسيماً معطرا ... وفي المر ما يحلوا من المن والسلوى

فمن عشقها بيت ومحراب والدي ... ومن عشقها «ليلى» . . ومن عشقها «أروى»

وحاجاتي الصغرى وفانوس غرفتي ... ووجه أبي والفضل والنبل والتقوى
وحبي أمي أي أم وجدتها ... فلا خالق أعطى ولا بارىء سوى

* * *

فأين كتاتيبي؟ وأين دفاتري؟ ... وأين طباشيري؟ وفاتنتي «سلوى»؟
على عجل مرت مروراً مؤرقاً ... فلا ناظر أغفى ولا خاطر روا
لتترك فوق الدرب ناعم طيبها ... يوزع من نعمائها الدفء والصفوا
سلام عليها كلّما ضاع عطرها ... وشوق إليها، لا يزول ولا يضوى[٦٤]

وللسيد حسن السيد:

مغنى الأحبة في ربوع بلادي ... لك ما ذكرتك مهجتي وفؤادي
وإذا بكيتك لا ألام على البكى ... حب البلاد يحز في الأكباد
أشتاق مرآك الجميل كأنّه ... الماء النمير لظامىء ولصادي
وإذا الدجى في الأفق مد رواقه ... والبدر طاف بنوره الوقاد
أرسلت نحوك مقلة مكدودة ... لم تكتحل بعد النوى برقاد

* * *

أهوى منازلك الوديعة مثلما ... يهوى مرابعك الحمام الشادي
لو كان يجديني الخيال لهمت في ... تلك الشعاب وجبت ذاك الوادي
وأعرت كل مغرد أنشودة ... يشدو بها من أعذب الأنشاد
وشرحت حتى للنسائم قصتي ... وشكوت حتّى للنجوم سهادي[٦٥]

ولسيد محسن الشبركة:

سلام يا هوى وطني ... فحكم الهجر من قدري
رحلت وكان في قلبي ... بقايا الماء والشجر
رحلت ـ أنا ـ وكان معي ... رحيل المجد في سفري!!

* * *

فيا أهلي! ويا نخلي ... ويا درب الهوى الخطرا!
دعاني الشوق للأحباب ... والأفنان والزهر
فبلت دمعتي عينيّ ... في رفق وفي خدر
وهزتني من الأعماق ... رعشة عاشق فكر
فرفقاً ـ يا هوى ـ بالصب ... والزم جانب الحذر[٦٦]

الفصل الرابع

الشعر الفكري

ونعني به الشعر الذي تصدّى لمعالجة الأغراض الفكرية والتأمّلات الفلسفية بجميع متباياناته. ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى أنّه من المعروف أنّ الفكر الديني كان له إسهاب وافر في هذا المجال. فكان بعض العلماء يقومون بوضع منظومات في قضايا فكرية شتّى. كقول الشيخ سعيد أبو المكارم:

ماهـية الأشـياء شيء حادث والقـول فيهـا بالأصـالـة منكرُ
قل بالأصـالـة في الـوجـود وإن ماهـياتـه فيه اعـتـبـار يبصر
كل اعـتـبـارات الـبرية صرفـة في الـذهن تنتـزع الحـدود وتنـظر
أمّـا وجـود الحـق لا ماهـية فيه سوى الـذات التي لا تنكر[٦٧]

ومعروف أنّ هذه الرباعية تعالج قضية عقدية طالما طال الجدل حولها بين العلماء. وقديماً قال أحد علمائنا الأعلام هو الشيخ عبدالهادي السبزواري:

إنّ الـوجـود عنـدنـا أصـيل دلـيل من خالـفـنـا عليل[٦٨]

ولكنّنا لا نعني ـ في هذه المقالة ـ بأمر هذا الشعر المجرّد رغم أهميته وضرورة الإشارة إليه.. فإنّ دراسته تقتضي التعرّض إلى نواح عقدية فكرية متشعبة، فضلاً عن ابتعاده ـ في الغالب ـ عن الروح الشعرية بمفاهيمها الفنية الصحيحة. الأمر الذي يخرج بنا عن نطاق الدراسة المخطط لها سلفاً. والواقع أنّ هذا الشعر إنّما يوضع للمهتمين بعلم الكلام ودارسيه، لا لمتذوقي الأدب والمعنيين به.

والشعر الفكري الذي نريده ـ في هذا الفصل ـ هو الشعر المتأمّل في هذا الكون الشاسع الواسع، المتفلسف في أشيائه وقضاياه كل ذلك ـ أو بعضه ـ دون أن يخرج هذا الشعر عن ماهيته الفنية ولا قالبه الأدبي الحي[٦٩].

ومن ذلك ما قاله الشيخ سعيد أبو المكارم أيضاً:

ساهـر حلق فكـري في مجالات الـفـضـاء
وإذا الـكـون متـاهـات.. غمـوض متـنـاء
نحـن لا نقـبض منـه ذرة بين الـسـماء
فلماذا قد ورثـنـا منـه برد الـكـبرياء
أو من يلبس برد الـكـبر يبـقـى؟ لسـت أفـنـى

* * * *

كلّما أصـنـع من أسـطر أعـمالي عجـيب
وأنـا في مسرح الأيّام أسـعـى كالـغـريب
في وجـودي كل شيء من معـانيّ غريب
وإذا صنـعـي يلقـاني، كما الـشـخص، حريب

وإذا الـدنـيا ومـن فيهـا ينـادي: لسـت أفـنـى

* * * *

أنـا أدري ما حياتي، وحسـابي في حسـابي
كيف موتي، كيف إشراقـة روحـي في غيابي
أنـظر الـشـمـعـة في الـظلمـة من فوق الـروابي
تنـضـوي في مطلع الـشـمس على روس الهـضـاب
غير أنّي الـضـوء لو كنـت حقـيراً: لسـت أفـنـى(٧٠)

تذكّرنا هذه المقاطع، التي تمثل شريحة من قصيدة طويلة تحت عنوان «لست أفنى»، بطلاسم «أبي ماضي». ولعلّها ردّ عليها، أو إجابات على التساؤلات الطافية في فكر الإنسان منذ أزمنة تاريخية سحيقة. وبالطبع كانت العقيدة الإسلامية وراء كل هذه الإجابات.

وقد عُرِفَ محمد سعيد الخنيزي بتأمّلاته الفلسفية التي أضفت على كثير من شعره مسحة صوفية متميزة. يقول من قصيدة «من أنت»:

من أنـت يا نفسي ملاك طاهـر؟ أم أنـت شيطان شقـيٌّ قاهـر
إنّي أراك مع الـظلام ضحـوكـة فكـأنّـك الصبح الـطروب الـزاهـر
وأراك في الـصبـح الجميل حزينـة فكـأنّـك الليل الـدجيّ الكـافـر
وأراك ـ أحـيانـاً ـ نبـياً ملهـماً توحي الـشعـور فتستفـز خواطـر
صورٌ تحرك قلب شعـب جامـدٍ فتـصـيح آذان لها ومـشـاعـر
وأراك في أفـق اضـطراب ثائـر فكـأنّـك الـبحـر الخضم الهـادر
إنّي أراك من الـتـنـاقض صورة حار اللبيب بها، وضـلّ الشـاعـر(٧١)

أمّا محمد سعيد المسلم، الذي طالما أرهق فكره وروحه بمثل هذه التأمّلات، فإنّه يقول:

فتـح الـفـجـر جفـنـه فإذا آدم يعـدو في لجّة الـديجـور
تائـهـا في الـعـراء يسعى على الأرض.. يناجي السـما بطرف حسـير
جاء من عالم الـبـداية يسـعـى ليس يدري في سعـيه بالمـصـير
علقـت روحـه الحـياة فأمـسـى هائـماً في جمالهـا المـسـحـور
جشـع في الحـياة يوقظ جفـنـيه ومـا فيه من هوىً وغـرور
ونـزوع إلى الـبـقـاء.. ولا يعـلم ما خبّـأت يدر المـقـدور

* * *

جاء من عالم الـبـداية يسـعـى مكـرهـاً ضائعـاً بتلك الـبـداية
هبط الأرض.. ليس يعـلم سر الـبـعـث فيهـا ولا لأيّة غاية
وسـيخـطو في سيره عقـبـات صعـبـت مرتـقـى ومـاءت نكـاية
سددت نحـوه يد الـقـدر الـسـاخـر سهـماً.. فكـان أصـمى رمـاية
وسـعـت في ضلالـة حيث أمسـت تنـثـر الـشـوك في طريق الهـداية

يا ترى! أي غاية تجتلي فيه وماذا؟ حتى استحق العناية
أتراه.. أتى على مسرح الكون فأمسى ختام تلك الرواية

* * * *

صاح: ربّي! ماذا جنيت فأشقى أفكان الشقا لمثلي محتم
فبعقلي أشقيتني؟ أم بقلبي أم لأنّي بعثت في الأرض ملهم؟
أي ذنب جنيته؟ ووجودي أنت قدرته بما لست أعلم
جئت لم أدرِ ما يراد بذاتي ومصيري غدا كبدئي مطلسم
أنت أغريتني بما اقترفت نفسي فلماذا جنت يداي؟ فآيم؟(٧٢)

وقد نجد بين الشعراء من يفلسف حياة الناس وعلاقاتهم فلسفة قائمة على نظرة شخصية مبنية على تجارب الحياتية الخاصة. قال السيد حسن السيد:

لا يحب الفقير غير فقير مثله في قداسة التفكير
إنّما المال آفة تفسد العقل وتقضي على حياة الضمير
وتميت الشعور في المرء حتّى لا يرى، غير نفسه، من كبير
يتغنّى بكل مجد عظيم وهو خلو من كل خلق نضير
فإذا شذّ في الحياة غني خلقاً واستقامة في الشعور
فهو في هذه الحياة ملاك جاء من عالم السماء الطهور
أو غريب أتى بليل وعند الصبح يزجي رحاله للمسير
إنّ عيش الحر الكريم قصير العمر مثل الزهور أو كالطيور(٧٣)

الفصل الخامس

شعر الحب

إذا كان القدماء قد اصطلحوا على تسمية اللون الشعري الذي يعالج غرض التغنّي بمفاتن الجمال الإنساني واتفقوا على تسميته غزلاً، فإنّ من المحدثين من رأى أنّ هذا المصطلح يشكو من الجمود والركود أكثر من إتقانه للفن، ووصفه بأنّه وصفي حسي أكثر مما هو فنّي وجداني، بمعنى أنّ الحب بمفهومه الشامل أرفع من أن يتصف بطابع حسيّ مجرّد يركز على جوانب مباشرة بقدر ما يركز على ملامسة الشغاف الوجدانية الإنسانية للارتفاع بها إلى مستوى عاطفي أروع.

ويشبه هذا الجدل القائم بين المفهومين ـ الوصف والوجدان ـ ذلك الاختلاف الأخلاقي بين عشّاق بادية وعشّاق الحاضرة في البيئة العربية القديمة، فإنّ الفرقة الأولى كانت ترى أنّ العشق تأمّل ونظر وعفّة طهارة، بينما ترى الفرقة الثانية أنّه عناق ولثام وتفريق بين يدين وقدمين!!

وهو ما يدلل على أنّ اختلاف الأوائل مع الأواخر في الاصطلاح إنّما هو فكرة فنّية مؤطرة امتداداً باهيم لها أصولها الجذرية في تراثنا الأدبي العريق..

ومهما يكن فإنّ شعر الحب القطيفي ـ الحديث ـ له من الملامح الفنّية والأخلاقية ما يضعنا أمام مجال عريض للغوص في غماره والإيغال في أسراره، والحديث عنه بلغ أكثر شمولاً وأعمق مضموناً. فهو يتصف أحياناً بالغزلية الكلاسيكية التي تذكرنا بغزل القدامى من الشعراء، كما يتصف بالعذرية المتجددة كالتي عند الشعراء الرومانسيين في هذا الزمان، وربّما تداخل هذان الاتجاهات الأخلاقي والفنّي أو شاركهما لون آخر سنراه في سياق عرضنا النماذج والحديث عنها..

لاحظ هذه القطعة الكلاسيكية الوصفية عند أحمد الكوفي، وهي مقدمة تقليدية في مدح السيدة فاطمة الزهراء (ع):

تهتز معاطفها طرباً ... لنسيم الروض إذا مرّا
وتردد ألحاناً تحكي ... نغمات العود إذ جرّا
فتسايلت الأغصان لها ... متثنية يمنى يسرا
نزه حفت برياحين ... معلول الجسم بها يبرا
وفتاة الحي لعاشقها ... سمحت بالوصل له جهرا
فاهت بالوصل علانية ... لم تأخذ من أحد حذرا
فدنت متذللة شغفاً ... متضرعة تبدي العذرا
رفعت أطراف نقاب الحسن ... فبان محياها بدرا
جرحت أحشائي حين رنت ... فكأنّ بمقلتها سحرا
في الخد الورد وفي فيها ... شهد يروي الكبد الحرى
فشممت الورد وذقت الشهد ... بترشيفي ذاك الثغرا(٧٤)

وتجد مثل ذلك عند الشاب محمد مكي الناصر إذ يقول:

أسفرت تختال غرّاء الجبين ... فأزيح الشك عنّي باليقين
عطفت مائلة عطف الصبا ... وانثنت مائسة في بردتين
ظبية منزلها في خاطري ... ليس في وادي النقى والرقمتين
خدّها الفتّان يزهو راقصاً ... في مياه الحسن لا في وجنتي
كلّما حاولت أسلو وصلها ... هزّني قلبي ونادى: أين أين؟
ما لقلبي كلّما لاحت له ... برقة ذاب كما ذاب اللجين
كيف أنسى وصلها إن هجرت ... ونهود الحسن كالرمّانتين
يا خليلي إذا جئتما ... لرباها، فاقصداها مسرعين
بلغا عنّي تحياتي لها ... واسألا عن ودنا في الحالتين(٧٥)

وإذا كان هذا اللون من الشعر لم يخرج عن كونه غزلاً تقليدياً، بحيث انسلخ عن ذوق العصر وتخلّف عن روحه، فإنّنا لا نعدم بصمات العصر في غزل السيد عدنان العوامي في قوله:

نهداك بين تمائم العقد ... تنهيدتان ولوعتا وجد

ما زال يرسب طعم لونهما بدمي وأنسجتي وفي جلدي
لمّا رأيتك لحظة انتهكا حرم العباءة دونما قصد
فمددت كفك تسترينهما تخفين ضوءهما عن الرصد
ونشرت من زنديك فوقهما شغفين من ترف ومن ورد
وأنا أمامهما ضجيج دم وعويل أوردة بلا ورد
هتكت رياح العشق أوردتي أودت بكل عزيمة عندي

* * *

ماذا لديك أموجتا فرح تتقاسمان أريكتي مهد
أم صبوتان هما تبرجتا في مقلتيَّ بغير ما وعد
فأقمتا بيني وبينهما جسرين من لهب ومن برد
قسما بلونهما. بضوئهما بمقالع النسرين، بالند
إنّي نسيت، نسيت عندهما أنّ القيود تغور في زندي!![٧٦]

ونلمس مثل هذه الأفكار الغزلية الجميلة عند عبدالواحد الخنيزي ـ رحمه الله ـ إذ يقول تحت عنوان نالت[٧٧]:

دنا منّي وفي فمه تلفت قبلة نشوى
وفي جفنيه! إيماء شهي البوح والنجوى
وأرسل نظرة حمراء سمرها على ثغري
وأدنى صدره الشامخ ـ في زهو ـ إلى صدري
وطوّقني بزنديه وأدنى من فمي ثغره
وأمعن ثغره النشوان يسكب في فمي خمره
فبتنا في رحاب الشوق ليلاً حالم النجوى
وغادرني وفي فمه بقايا قبلة نشوى

وإذا كان الحب عند هؤلاء الشعراء خداً ونهداً، فإنّه عند غيرهم ألم في أمل. قال بعضهم:

أنت ـ يا ليلى ـ بعينيَّ
صباح ضاحك عذب جميل..
ومنى خضراءِ تستاف من الصبح ارتعاشات الأصيل!
وغرامٌ جارف رتل في الظلماء آيات اشتياق وحنين..
وأهازيج تداعت
بين أنقاض السنين..
..ومضى يرسل في الليل الطويل..
أنّة بلهاء
ـ كالليل ـ
تنادي المستحيل!![٧٨].

ولمحمد رضي أبو عبدالله :

بعينية الوصل عين
تدس عليها العيون العيون
قوام يفتش في القلب عن زلّة للهوى
بعذر وجيه
وتمشين في الدرب هوناً
بوجه يؤجج في جميع الخطايا . . بفيه
وكانت عيوني على الدرب درباً إليه
لقلب يؤلفه الرشد من دون رشد
يعانق من لا أعانق دوماً
وقبل العناق . . حديث طويل . . يليه . .
حديث . . حديث طويل يليه . .
وما دار فيه
ما زال قلبي يعاني من التيه . . فيك وفيه .
وكيف تمشين بالدرب هوناً
وما زال قلبي يعاني الشكوك . .
وعيني من الغمز دلّت عليه
وأثنيه . . أثنيه
كي لا يقال صبئت إليه
وأغلظ في القول . لكنّ قلبي عنيد!
وفيه فؤاد
فيه عيون . . . وفيه وفيه
وصعب انتزاع فؤاد الفؤاد
وصعب انتزاع الهوى من فؤاد الفؤاد

* * *

ستلقين يوماً بمفترق الدرب دربا
عليه دم . .
فيه تحبو النجوم . . وفيه . .
قبر يطل . . يدل عليه ! !
وكان عليه :
لقد مات صبراً ولم ترحميه !
هناك سينبت قلب جديد
كطفل . .
وندب على وجنتيه . .
يذكر يوماً بماضي أبيه . .
فإن لم يمت فيك حب الدماء الطليقة بالأرض . .
وقتل القلوب . .
ولم تنم ثمة عقدة ذنب
دعيه . . يرى كيف تمشين بالدرب هوناً
دعيه . . (٧٩)

على أنّ هذا اللون من الغزل الرومانسي هو الطابع الذي يكاد يطفو على الغزل الحديث في الشعر القطيفي . . قال السيد حسن السيد :

ذكـرتـك والليل يزجي الـرؤى وعـيني تأبـى عليّ المنـام
وطيفـك يجتـاح جنـح الـدجى يؤرقـني في حنـايا الـظلام

* * *

ذكـرتـك عنـد طلوع الـقمـر على غفـوة الأس والـنـرجس
وقـلبي يصـارع عبء الضجـر ويسـأل عن طيفـك المـؤنس

* * *

ذكـرتـك في بسـمات الـربـيع على ضفـة الـشـاطىء الأزرق
ولـلمـوج لحن يهز الـضـلوع ويسـعـد هذا الـفؤاد الـشقي

وعـطرك في كل أفـق يضـوع فيطفىء وهـج الجـوى المحـرق

* * *

ذكـرتـك في عزلـتي الـدامـية وعـبر دروب الحـياة الـرهـيبـه
وفي أنّـة الـنـاي والـسـاقـية وتحـت ظلال الـنـخـيل الحـبيبـه
ولـلطير رفـرفـة حانـية على همسـات الغصـون الـرطيبـه
فأيقـظت في مهـجـتي الـبـاكـية بقايا شجـون الزمان التريبه(٨٠)

وقال محمد سعيد المسلم:

كنـت.. إذ كنت صورة في خيالي أجـتـليهـا في صبـوتي وغـرامي
زخـرت بالـرؤى الـوضاء وماجت بالأحـاسيس والأمـاني الهـوامي
أجتليهـا.. في مقلة الليل طيفـاً سابـحـاً في الخـيال والأحـلام
وعـلى مبـسم الضحى أتمـلاهـا سماء علوية الإلهـام
كنـت.. إذ كنت لحن حب أغنية بشـعـري في سالـف الأيّام(٨١)

وقال محمد سعيد الخنيزي:

في مسـاء مبـطن بالـغـمام جئت أسعى ـ في حيرتي ـ كالظلام
جئـت أسـعـى حتى مررت ببيتٍ فيه دنيا «صـبـابـتي وغـرامـي»
هتفـوا باسمـك المضمـخ بالحبّ فهبت ـ من الكـرى ـ أحـلامي
فتـلفـت يمـنـة ويسـارا لصـداك المـوقـع الأنـغـام
آمـلاً أن تفـوز نفسي بلقـياك وأروي غليل قلبسي الـظامـي
نفحـات الخلود في صوتك العذب ولـطف الـصبـا وشـدو اليمام
يا لصـوت أرق من نسمـة الفجـر وأنـدى من ورقـة الأنـسـام
فتراجـعـت للزمـان الـذي ولّى أنـاجـيك غارقـاً في هيامـي
ونشرت الـذكـرى فصـافـح عيني اسـم «مـي» عنـوانها المتسـامي
قد تولـت ـ يا مي ـ إلاّ خيالا وأدكـساراً يسري دمـساً في العـظام

ولمحمد عبدالشهيد آل قاسم:

ريم الـعـيون، فأين ألـقـى مهـربي وا ضيعتي! فالـقـلب قلب الـثـعلب
أصبحت أفتقـد العـدالـة في الهـوى بئس الهـوى إنْ لم يحقـق مأربي
مهـلاً! فقـيدك حطمتـه عزيمـتي حريتي أقـوى فلا تتـعـجـبـي
إنّي نسـيتـك منـذ أوّل قبـلة قالـت بأنّي لسـت أوّل معـجـب
ودعـت حبـك والحـرائـق في دمـي تكـوي فؤادي، وهو ليس بمذنب(٨٢)

ولعلي الفرج:

تعـالي واسـكـبـي الأحـلام أنهاراً ورويني
فإنّي قد مللت الـعـيش ما بين الـدواوين

أرى في وجهـك الـوضّـاح أعـواد الـرياحين
أرى فيه عروش الـزهـر في باقـات تشرين
وألـوانـاً من الـرمّـان والـزيتـون والتين(٨٣)

الفصل السادس
الشـعر الـذاتي

. . والشعر الذاتي القطيفي غرض متعدد الألوان متشعب الدوافع لدرجة تجعل من استيعابه ـ في هذه العجالة ـ أمراً يجشمنا شططا!! إلاّ أنّنا نتحسس بعض بصماته ودوافعه من خلال قراءة بعض النماذج اليسيرة.

إذ كان الشيخ عبدالحميد الخطي يرى أنّ مصدر قلقه وعذابه هو المحيط الذي يعايشه، فقد وجده مجتمعاً من الأفاعي البشرية تدب بدربه أنّى اتّجه. . فقال مصوراً هذا الحال:

أمـامي وخـلفـي أفـاعي البشر تـدب بدربي، فأين المفـر؟!
ثلاثـون شهـراً خلت لم أكـن بأكـثـر حسّـاً بها من حجـر!
شغـلت ـ بها ـ بالجـدال الـعقيم وبـالـشكـل عمّا وراء الـصـور
حطمـت الـيراع وجـف المـداد وأخـلد للصمت هذا الـوتـر(٨٤)

وقد بلغ هذا الشعور بالشيخ إلى أن يقول:

لا تطلبـوا وتـري فليس بواتـري فرد ولـكـن كل أهـل زمـاني
أفـردت في كل الحـوادث أمّـتي خصـمـي وذو رحمي بها سيّان(٨٥)

وكان محمد سعيد المسلم يعيش المعاناة نفسها ويكابد الألم ذاته، فدعاه ذلك إلى أن يعتزل الناس ويعيش بآلامه وآماله بعيداً عنهم، أليس هو القائل:

هبـطت لمخـدعي سحـرا أنـاجـي فيه أحـلامـي
وقـد حطمـت قيثـاري فماتـت فيه أنـغـامـي
وأدّت عليه عاطـفـتي وآمـالي وآلامـي
وطـاب لي اعـتـزال الناس، إذ كذبت أوهامي
لأنّي قد درسـتـهـم
وبـانـت لي خفـاياهـم
فكـيف أحـلهـم ثقـتي
وقـد ساءت طواياهـم(٨٦)

بينما كان محمد سعيد الخنيزي يرى في ظلام عينيه ظلاماً في كل شيء، حتى غلبت على شعره هذه النغمات الحزينة:

أرى من زوايا حياتي غدي فأبصره روضـة ذاويه

توقف عنها معين الحياة وغارت جداولها الشاديه
ومدّ الخريف بها كفّه فقصف أفنانها الزاهيه
تساقط منها رجا ضاحكاً كحلم الربيع على الرابيه

* * *

أراهُ كباحثةٍ في الثرى تفتش عن عالم داثر
وتنشد بين طلول السنين قبوراً عفتها يد القاهر
كشيخ ينقب عن حلمه ويبكي لعصر الصبا الزاهر
أراك غدي! قاتماً باكياً ذبيح المنى، حائر الناظر

* * *

أريد النجاة، وأين النجاة؟ وقد أسدل الليل أستاره
وغامت على دربي الحالكات فلا تلمح العين أنواره
حياتي مبطنة بالظلام يبث بها الدهر أخطاره
وأرست على شاطىء الحادثات فأذبلت السريح أزهاره[٨٧]

أمّا السيد حسن السيد، فقد وجد في العذاب لذّة لا تضاهى . . فقال:

كلي يانا أوراقي وخليني وأشواقي
يذيع الليل أسراري ويبري الوجد أعماقي

* * *

كلي يا نار ألحانا طربت بهن أزمانا
وكان الفجر في عيني يشيع الحب ألوانا

* * *

كلي يا نار ما أبقيت من عذب الأناشيد
فقد ودعت ما أمليت من حلو المواعيد

ولم يكن هذا الشعور الصارخ بلذة العذاب إلاّ نتيجة للحب العاثر والغربة النفسية الرهيبة التي يعيشها . . قال:

لمن أشكو جراحاتي وأحزاني وآلامي
وما في الناس من يأسو جراح الواله الدامي!

* * *

دموع العين أخفيها ونار الشوق تبديها
وأيّام سعدت بها رياح الحزن ترويها

وقد دفعه ذلك كله إلى أن يدفن حبه في قلبه، رغم ظمأه إلى معين الحب الصافي . . لاحظ إتقانه السلس المتفرد في قوله:

دفنت الحب في قلبي وبي ظمأ إلى الحب

إلى خلٍ يبادلني حديث القلب للقلب(٨٨)

إلّا أنّ الوجد المسرف يبلغ ذروته عند عبّاس خزام الذي يقول:

يا خيول الظلام ها أنا ميدان فدوسي على جناجن صدري.
وامسحي جبهة الوجود بأشلائي، وخطي بفحمة الليل قبري
أطفئي مشعل الأماني في قلبي، ونادي الظلام يحجب فجري
والنشيد الذي يذوب بقلبي أقتليه وأهرقي كأس خمري
فأنا لست للحياة ولا للفجر إلّا كظامىء وسط قفر
ينشد الصبح والربيع أناشيدي وتعودي الرياح في روض صدري

أمّا عبدالخالق الجنبي، ذلك الشاعر المنكوب، فإنه يقول:

وإنّي في يقين أنّ حظّي من الدنيا، سراب في سراب
وإنّي ما خلقت لرغد عيش كأنّ الهم والأحزان دابي
ولو أنّ القضاء أراد شخصاً يفجره، لأقبل نحو بابي
كأنّي ما ارتويت من البلايا كأنّي ما شبعت من العذاب
حياتي كلّها قهر وعيشي شقاء.. وابتسامي كانتحابي

وإذا كان عبدالخالق الجنبي ينظر إلى الحياة بكل هذه السوداوية ويراها بكل هذا اليأس، فإنّ شفيق العبادي يشترك معه في هذه النظرة إلى الحياة وإن كان يختلف معه في شكل إفصاحه وتعبيره.. يقول:

وران على دنسياي ليل مجنح يرف فيذوي في دمي جمرة الخوف
مشيت به في غمرة الركب سابراً خضم دياجيه على همة الكف
ودربي وعر والطريق طويلة وعمري ثوب قد تهرى من الخضف
ومِلء فؤادي من يد الدهر حسرة على عمر ولي إيماضة الطيف
تداعى بأحضان الشقاء ولم يكن به ما يريح النفس غير ضنى العسف
وأعثر ظمانا ومالي موئل ألوذ سوى طيف من الأمل الصرف
سقاني كؤوس الأمنيات سخية ولما نشدت الوعد ألوى ولم يوف(٨٩)

الفصل السابع
النقد الاجتماعي

حظي النقد الإجتماعي من اهتمام الشاعر القطيفي ـ ولا سيما المعاصر ـ بنصيب وافر، فقد كا للمتغيرات الاجتماعية وملابساتها الفكرية والأخلاقية والدينية أثر اجتماعي طفى على الساحة وبخاصة ؤ السنين الأخيرة.

وكان معظم ذلك من جرّاء الحضارة الإنسانية التي يشهدها العالم بأسره واتصال أطرافه اتصا مباشراً وتأثّر المجتمعات الإسلامية بالتيارات الغربية والشرقية تأثّراً يوشك أن يسلبها شخصيتها وأصالتو

الحقيقية، إضافة إلى الانشقاقات الإسلامية الفكرية وسلبياتها على المجتمعات الإسلامية وما يخلفه من تبعات بغيضة.

كل ذلك أو جله عولج من قبل كثير من الشعراء معالجة إصلاحية أفرزت لنا أدباً اجتماعياً قطيفياً لا يستهان به كمّاً ونوعاً.

قال السيد حسن السيد:

أي معنى لهذه الترهات ... يا شبابا ينوء بالشهوات
يا شبابا ضلّ الطريق إلى المجد ... فأمسى مضيع الخطوات
يا شباباً ينام عن صالح الأعمال ... في لاهب من المنكرات
وسم الواجبات باسم التقاليد ... وظنّ النجاح في المحدثات
ولعمري ما أحدثوه على الدين ... نظام مزيف النظرات
فالزم الدين ـ يا شباب ـ تعش ... حراً سعيداً في هذه الكائنات[٩٠]

وهناك بعض الشعراء من يستغل المناسبات الدينية أو الاجتماعية ليعالج مثل هذه الأغراض، ولا سيما الشعراء الشباب مثل حسين الجامع وجاسم عبدالشهيد آل قاسم ومحمد مكي الناصر وغيرهم.

قال حسين الجامع في مناسبة دينية، هي مناسبة عيد الغدير الأغر يخاطب الإمام (ع) متعرضاً لبعض المشكلات الاجتماعية:

أبا حسين هب لنا نفحة ... فقد عصفت بالحياة الشرور
زعمنا بأنّا لكم شيعة ... موالون مهما توالى الدهور
ونحن لأنفسنا لا لكم ... نشايعها في جميع الأمور

* * * *

فكم ذا نهيم بلذاتنا ... وكم ذا نتوب لرب غفور!!
مجالسنا زهوها غيبة ... وقد تتعدى لمين وزور
وجهراً ننال من الآخرين ... فلسنا نخاف السميع البصير
أليس فلان على ماله ... يشحّ فيحرم منه الفقير؟!
وذاك يجور بأحكامه ... وذاك طويل وهذا قصير!

* * * *

وفتيتنا همهم لهوهم ... وآفة بنت البلاد السفور
فضاع العفاف وذاب الحياء ... ونحن بذاك فقدنا الكثير
ويحزن سمعك يا سيدي ... أخو شيبة شارب للخمور!
يسافر من أجل لذاته ... وينفق أمواله في الفجور
سلام على شيبة مرغب ... بوحل البغايا ولعق الخمور
فيا رب رحماك هيء لنا ... سبيلاً نفوز به يا قدير[٩١]

إنّه يعرض الواقع عرضاً مباشراً ليصل إلى أكبر قدر من الناس، وما ذاك إلّا محاولة منه في الإصلاح

الديني والأخلاقي.

ومثل ذلك ما قاله أحمد عبدالله العوى موجهاً توجيهاته إلى الفتاة القطيفية:

إلـزمي ـ يا ابنة القطيف ـ الحجابا ... واسـتري الـوجـه وأسـدلي الجلبابا
أنـت در مع الـعـفـاف فصـوني ... حسنـك الغض لا تريه الكـلابـا
أنـت ماء تحيي به الأرض لكـن ... بعـد رفـع الحجـاب صرت يبـابـا
أنـت للنـاظـرين نجـم ولـكـن ... باختـلاط الرجال صرت ضبابا[٩٢]

وللشيخ مهدي المصلي. تحت عنوان «صوت الحق»:

هي السعـادة والإسـلام منبعهـا ... فاز الذي من نداها العذب قد شربا
فلا تغـرنّـك ألـفـاظ منمقـة ... قد زيّنـوهـا وهـامـوا حولهـا طربـا
قالوا: المسيقى تغذي العقل قلت لهم: ... بجـعـله للظى في حشره حطبـا
حرية المـرء تعـني ترك عفـنـه ... وجـعـله حيوانـاً للفـجـور هبـا
والمـرأة الـيوم لا يعـني تحرّرهـا ... إلاّ الـدعـارة إذ نالت بها القصبـا
أمست تصـارع أمـواج الشقاء فلا ... حمى يدافـع إن أغـروا بها النـوبـا
ضاعت كرامتها إذ أصبحت سلعاً ... في السوق تعرض إن شار بها رغبا
وطـالـبـوا بحقـوق الغيد ليتهم ... قد أنصفـوها وارعوا جسمها التعبا
أين العـدالـة إن لم يرع جانبهـا ... جنس لطيف نداه الغض قد سلبا
قد كلفـوهـا بأعمال الرجال وأعمال ... الـنـسـاء فما حر لذاك أبـى
الله يعـلم ما يجري بمـعـملهـا ... حبـائـل الشر تغـزو الدين والأدبا

* * *

الحـل في شرعـة الإسـلام قد كتبا ... فاسـعـوا إليه فما ساع إليه كبـا
حمى كرامتهـا أعـلى مكـانتهـا ... أعـاد نضرتهـا، من أجلهـا غضبا
سما بها عن ذيول الجنس تحسبهـا ... أجـرى الـطهارة في أعطافها خطبا
هذا التقـدم فامشـوا في منـاكبـه ... واستلهموا الحق نوراً يكشف الحجبا[٩٣]

أمّا التفرقة المرجعية ـ إذا جاز القول ـ فقد لعبت دوراً خطيراً في المنطقة وعاثت به عيثاً لم يعهد له مثيل في العصر الحديث.

قال بعضهم تحت عنوان «يا بني الخط»:

لا تطيحـن بكـم تفـرقـة ... تجعـل العـالي بين السـافلين
حطمـوهـا! صيروهـا طللاً ... واتـركوا الأعداء فيها واقفين!!
اشـهـد الـرحمـن إنّي لأرى ... نارهـا تضرم بين النـاظـرين
بيد أنّي لا أرى بادرة ... منهم.. تطفىء نار الحـاقدين

يا بني الخط أفيقـوا وانـظروا أينكم من مجد قوم راح أين!؟!

ونماذج الشعر القطيفي الاجتماعي كثيرة، أعرضنا عن استعارضها لسببين:

أولهما: أنّ هذا النوع من الشعر كثيراً ما يتنازل فيه الشاعر عن قيم فنية عديدة، وهو في ذلك يتوخّى السهولة لإمكان إيصال أفكاره إلى الجماهير المتفاوتة التفكير.

ثانيهما: خوفاً من الإطالة والإطناب فيما يمكن تحقيقه بذكر اليسير منه.

الفصل الثامن

شـعر المناسـبات

إنّني أضم صوتي إلى أصوات الذي يقفون من شعر المناسبات موقف الحذر، لكنّني لا أعتبر هذا الموقف من المسلمات النقدية تحت أي ظرف من الظروف، بمعنى أنّني أؤمن أنّ من شعر المناسبات ما يبيّن مدى تفاعل الشاعر مع المناسبة! وهذا ما أردت الوصول إليه سريعاً، وهو أنّ شعر المناسبات القطيفي لا يزال يعطي فنّاً ويدل على مؤشرات كثيرة.

وإذا كنت قد عرضت لبعض القصائد التي قيلت في المناسبات في مواضع سابقة دون أن أُشير إليها فإنّني ـ في هذا الموضع ـ أفرد مقالة خاصة تتعرّض لهذا النوع من الشعر تعرّضاً مستقلاً يبرز بعض الملامح العريضة في شعر المناسبات القطيفي. وقد قلنا في حديثنا عن البيئة الشعرية القطيفية: أنّ شعر المناسبات القـطيفي يلعب دوراً خطيراً في إثراء الحركة الأدبية وتهيئة الأجواء الأدبية في المنطقة، وكان له ـ أيضاً ـ الفضل في إظهار بعض الشعراء المغمورين إلى الساحة المحلية على الأقل.

أمّـا هنـا فسوف نضيف إلى قولنا ذلك نماذج شعرية تدلل على مدى اهتمام الشعراء بالمناسبات وإعطائها حقها، ولم يكن ذلك إلّا نتيجة للاهتمام الحقيقي بصاحب المناسبة أولاً، لا الاهتمام المجرّد بالشعر كفن...

أنـتـم الـيوم في رحـاب علي وعـلي في غبـطة وسرور
سجـلوا حبـكـم بكـل سرور وامـزجـوه بنـافحـات العـطور
نفحـة من شذى الـوصي أنـارت لي دروبـاً حفـظتهـا في ضميري
كم غرفـنـا من نبعـه وارتشفنـا وارتـوينـا بعـلمـه المـنـثـور
إنّـه الحـب يا صحـاب فغنـوا متعـة النفس تحفـة للصـدور[٩٤]

ـ هذه المقطوعة القصيرة قالها محمد بن الحاج ملا علي توفيق ضمن قصيدة طويلة في مناسبة عيد الغدير الأغرّ وهي ـ بلا شك ـ تنم عن إيمانه العميق بهذه المناسبة الإسلامية العظيمة.

أمّا مناسبة ذكرى ميلاد الإمام المنتظر (عج) فقد قال فيها شاعر آخر هو شفيق العبادي يخاطب الإمام:

يا باعـث الأمـل الـذبيح تحية لعـلاك من فم شاعـر متجـدد
لولاك لم ينـبس لريشـتـه فم ولهـاتـه، مما بها، لم تنـشـد

أثـريت بالنغم الشـدي مشـاعري وأسـلت آيات البيان على يدي
وعـرجتَ بي أفق الخيال أصـوغه شعـراً يمجـد في علاك الأوحـد

* * *

يا من طلعـت على الحياة حقيقـة بالمجـد تزخـر والمكـارم ترتـدي
أخـذت بنـاصية الـزمـان كأنّها قطب يروح بها الـزمـان ويغتـدي
ما ارتـاب فيهـا عاقـل ومفكـر إلاّ حثـالـة معشر لم ترشـد
تاهت عن الحق الصراح وأرجفت بمقـالـة جوفـاء من فمْ حسـد
هرأت على وهـج الحقيقة واغتدت شلوا يطاوح في الحضيض الأوهـد
فمـتـى ستـلجـم كل بوم ناعـق ومتى ستـطلع للورى كالفـرقـد؟
ومـتـى سيشرق للرجـاء ولـيله فجـر ليعصف بالأسى المتلبـد[٩٥]

* * * *

أمّـا المناسبات الاجتماعية، مناسبات الأفراح أو مناسبات الأتراح، فنختار من الأولى مقاطع من قصيدة عبدالله البيك في تهنئة شفيق العبادي المذكور بمناسبة زواجه الميمون..

أيّهـا السـابـح في بحـر الخيال تصـطفـي منـه نفـيس الأدب
قم وتـاجِ الحسن واستجـد الجمال يفعـلا في الشعـر فعـل العجب
إيه يا تاروت يا نبـع الـوفـا وانصهـار الحب في كأس الحنـان
وانبـلاج النـور في عين الصفـا وانبعـاث الأنس في دفء الأمـان
ومنـى الجـود بفيـض السـحب

* * * *

فتـقـي تاروت أنـوار الجنـان وانثـري الأزهـار في كل الجهـات
فربـيع الحسن في هذا الـزمـان بين أقـدامـك يستعـطي الحياة
فهبيـه اليـوم بعـض الرتـب
قد أتينـا الحفـل بالشـوق العميق وشربـنـا قدح الحـب الـزلال
ساقـنـا للحفـل حب لشفـيق طيب الـعنصر محمـود الخـلال
وهـو بيـن الشـعرا كالكوكـب[٩٦]

أمّا مناسبات الأتراح، فللسيد عدنان العوامي هذه الأبيات في حفل تأبين الشاعر الراحل محمد سعيد الجشي:

قل لمن يندب الـرجـال جسـوماً عمـرك الله كم تظل جهـولا
إنّـما تنـدب الـرجـال نفـوساً عاطـرات الشـذى وتبكي عقـولا
فإذا مضـنـا الأسـى وجـرعـنـا علقـما من شجـى الفـراق وبيلا
فلأن الـردى أبـتـه علينـا شاعـراً يحمـل الهـوى إزمـيلا
عاش للوجـد والهـيام وإن لم يبـغ عن نثـره الـفـخـار بديلا

لم يجد خطوة عن الـدرب لما ... أن تردت خطى وعـادت نكـولا
خر في موحـل الهـوان رجـال ... حسـبـوا غاية الحـياة وحـولا
فتردوا على الـطريق صغـاراً ... وأبـى الـطود شامخـاً أن يزولا

* * *

ويح أم الـردى طوتـه حبـيبـا ... وتـقـاضـتـه من علاه ذحـولا
علهـا استكثـرت على الخط فحلا ... ما لها تكـره الـرجـال فحـولا
ويحـهـا ما يضـيرهـا من سمانـا ... لو رأت في رحـابهـا قنـديلا

* * *

ويح ذي معـتب أشـف وأزكى ... من حبـاب الـنـدى على مهـيلا
لا مني أن كتـبـت فيك رثـاء ... ومـن الحـرف والـرنـين هزيلا
رحمـة أيّهـا المـعـنـف عتـبـا ... لم يزل معـتـب الـنـبيل نبيلا
لا تلمـني إذا تبـعـثـر حرفي ... أو نبـا مرقـمـي فهـان مثـيلا
أين لي متـقـن الـرثـاء ويغـلي ... في دمـي مرجـل يضـج عويلا
إن من يحسـن الـقـصيدة فنـا ... غير من يلمس الـضلوع غليلا[٩٧]

ومن ذلك هذه الأبيات الرائعة التي ألقاها عبدالله الشيخ في تأبين صديقه الأديب علي الشيخ حسين القديحي رحمهما الله[٩٨]:

درب مشينـاه أزهـاراً وريحـانـا ... ملاعـبـاً وأهـازيجـاً وأفـنـانـا
وياسـمـيـنـاً روينـاه محاجـرنـا ... خوخـاً وتينـاً وأعنـابـاً ورمّـانـا
وبـاسقات رأت من عشقنا قصصاً ... أنهراً كم زرعنـاهـا، وشـطآنـا
ومهمهاً ما وعى في الصبح غدوتنا ... إلّا رعى في ظلام الليل نجـوانـا
وحنـظلاً كم سقـانـا راح غصّته ... وكـم أذاق من الأرزاء ألـوانـا
وزمـهـريراً قطعـنـاه يداً بيد ... عواصفـاً وأعـاصـيراً وطـوفـانـا

* * *

أبـا محمـد! ما جنبت مكـرمـة ... ولا خنـت غداة الحـب نادانـا
عمر من العاصفات الهوج مافتئت ... وأنـت توسـعـني عزمـاً وإيمانـا
كم بت والخطب يطويني وينشرني ... فكنت لي من بني الإنسـان إنسانا
ضربت أروع ما في الحب من مثل ... وكنت أكـرم من وفى ومن صانـا

* * *

طريقنـا عزّ في الأحبـاب مسلكـه ... سرنـا، فما أدرك الأحبـاب مسرانا
فيه من الصخـر ما تشكـوه رحلتنا ... فيه من الفخـر ما يرضي مزايانـا

ليل سهرناه لا كأس ولا وتر ... شعر تلوناه منهاجاً وقرآنا
كل الدروب رسمنا فوقها صوراً ... ملاحنا وأناشيداً وأشجانا
حتى الغدير أعرناه صبابتنا ... متى رأيت غديراً بات هيمانا

ومنها:

غدا إذا انتظم الأحباب مجلسنا ... وهدهد الأنس شيبانا وشبانا
وأبصروا عجباً ألا تكون معي ... وطالبوني إيضاحاً وتبيانا
ماذا أقول؟ سكاكين تجرحني ... ماذا أقول؟ وما أرداك أردانا
أقول غدراً؟ وما ألفيت منك قلى ... أقول هجراً؟ وما أزمعت هجرانا
أقول غاب؟ وأنت الضوء في نظري ... أقول بان؟ ومنك الطيب ما بانا
أقول فات؟ لساني لا يطاوعني ... أقول مات؟ وقد جلّت رزايانا

* * *

يا من تعيش هواه كل جارحة ... منّي وتحياه أشواقاً وتحنانا
أبا محمد! عهداً جئت أقطعه ... للمكرمات أحيي فيه ذكرانا
غداً إذا عدت لي دربا فضواه ... وأنبت الدرب أزهاراً وريحانا
وطالعتني من الفيحا عواطفها ... ومن بساتينها يممت بستانا
لأقطفن سلالاً من أزاهرها ... توزع العطر أزماناً وأزمانا
حتّى إذا فتن العشّاق رونقها ... صيرتها لكتاب الشوق عنوانا[٩٩]

ولا أظن أنّ هناك تعليقاً يمكن أن يليق بهذه القصيدة الرائعة، فهي بلا شك تمثل نموذجاً مشرفاً لشعر المناسبات القطيفي الحديث.

الفصل التاسع

الشعر الفكاهي

قد يرى البعض أنّ هذا الشعر، لا شعر فيه ولا فن، وأنّه لا يعدو كونه نظماً للتسلية، والمرح. إلاّ أنّ الواقع، الذي لاريب فيه، هو أن هذا الرأي لا يمكن انطباقه على كل الشعر الفكاهي بصورة عامّة.

فإنّنا قد نلمس في الشعر الفكاهي جدية وصدقاً، قد لا نلمسه في شعر آخر!!! ويعني ذلك أنّ الشعر القطيفي الفكاهي فيه من الجدية والصدق الشيء الكثير. قال أحمد الكوفي الذي عُرِفَ بالدعابات الشعرية الكثيرة:

ولقد قلت لنفسي وأنا فوق العريش
أيها أحسن أكل العيش أم أكل الجريش
فأجابتني وللضرس صرير ووشيش
كل من الموجود إنّي عن سواه لست أدري[١٠٠]

لقد كانت حياة أحمد الكوفي، حياة فقر وكفاح في سبيل لقمة العيش، وهذه الأبيات تعبّر عن ذلك بصدق وجلاء، وإن كانت على حساب «أبي ماضي».

وقد نجد نقداً اجتماعياً في كثير من الشعر الفكاهي القطيفي أيضاً. ومن ذلك قول حسن اليوسف في «العقاريه»:

سل العقاري كم يجني من الترب ... فـ «الشيك» أصدق أنباء من الكتب!!
مبارك السعي لا تمشي له قدم ... إلّا لتذرع «أمتاراً من الذهب
وفي «الصكوك» له أطروحة كتبت ... وفي «المخطط» ما يغني عن الأدب
إنّ در في منتدى الأصحاب شاربه ... ولوحت «سبحة» منظومة الحبب
وأصبح البلك» جزءاً من مزايدة ... تجتّره مغريات «العرض والطلب»
وردد السعر شخص لا تُعرّفه ... إمّا سألت، سوى «الدلال» ذي الشنب
هناك تنكشف الساحات عن رجل ... جم التجارب في التثمين لم يخب[١٠١]

ومن الشعر الفكاهي الهادف: قصة «ديك الجن» التي عالج فيها محمد رضي أبو عبدالله، معتقداً اجتماعياً غريباً وما زال راسباً في أذهان الكثيرين من أفراد المجتمع ولا سيما كبار السن. يقول فيها:

الليل يعربد بين الدور ... والناس تمزقه بالنور
ويلف الكون بمئزره ... بخشوع الراهب عند الدير
وهناك على مرأى منّا ... شبح يتهادى كالمغرور
وهدى الأصوات بمسمعنا ... تهليل يعقبه تكبير..
شمطاء حاملة ديكاً ... والديك يصارع كالمسعور
وبريق الموت بعينيه ... يتطاير كالشرر المذعور

* * *

ومشينا نتبع خطوتها ... والخطو حثيث في تيسير
حتى وقفت فتوقفنا ... وتخفينا عجلاً بالستور
وهنالك صارت جارتنا ... بالأمن، وبالحي المهجور
لم تلمح إنساً أو جاناً ... أو حتّى كلباً أو سنور
أخذت تختار له لحداً ... وأتته تسعى بالتشمير
وصديقي يسألني خلاً ... يا رب الحيلة والتدبير:
ما تفعل تلك بمأسور ... قد غلّ؟ فيخل بالتفسير
فصلت ما بين حديثينا ... فصلت جزأيه (بالساطور)

* * *

جلست لتشق حفيرتها ... إذ تبطىء حبّاً في التكبير
دسته على وجل منها ... وأهيل الترب بلا تعسير

ولسان الحال لخالتنا: قد نفذ نذرى بالمنذور
ما كانت تفعل لو تدري من كان يراقب خلف السور؟!

وحينما انصرفت جارة شاعرنا الشمطاء إلى شأنها بعد أن وفقها الله لتنفيذ نذرها!! قام شاعرنا وصاحبه، الذي يرافقه، باستخراج «ديك الجن» من الحفيرة بل وطبخه وأكله! ولم يكتفيا بذلك، وإنّما دعيا إلى مأدبتهما جارهما «أبا زيد» الذي سألهما عن قصة هذا الديك السمين فيخبرانه ـ بعد لأي ـ بحديث الديك الملآن، ليبينا له أنّهما أولى بالدين من الجان...

فأسر القول لصاحبنا بحديث الدين الملآن
إنّا وجميع الناس هنا أولى بالديك من الجان

ثم سألاه:

قل لي ما تفعل يا هذا إن قال الجن: من الجاني؟!
فتلعثم منّا في عجب وأجاب بصوت أشجاني:
لاَ تسأل ـ حسبك ـ عن فعلي
يا ربي! ماذا أغواني؟!
قد صارت ترجف أوصالي والرعب بقلبي ولساني
بل أذهب عقلي قولكما بل طار الخوف بألواني
إبليس أغواني يوماً والديك تسبب في الثاني
ومضى يدعو: ربي ربي من أنت؟ تتوب على الجاني!![١٠٢]

وهناك من الشعر الفكاهي ما يقال لمجرد الفكاهة، منه ما فعله حبيب رضي محمود حينما رثى «عين البانية» إذ قام بذكر أسماء روّادها بل ذكر بعضهم بألقابهم التي يتنابزون بها.. قال منها:

ففقدنا ـ بفقدها ـ منتدانا وفقدنا ـ بفقدها ـ أصدقاءا
ونداسى ساروا بنهج هوانا ورعوا ودنا وصانوا الوفاءا
أين «ابن الغراب» ذاك المسمّى «شادياً» بل أين المسمّى «ضياءا»
و «أبو ضرب» المهذب و«الساحر» والعائمون فيها عياءا
و «علبان» والخبيصة فيها وهوى «الباعشين» كيف تنائى
وابن عمّي «النادي» إذا غرق السابح في موجها وصاح: الوحاءا[١٠٣]

ومن ذلك ما قاله «بعضهم» معاتباً صديقاً له:

أهنت النفس من أجل التلاقي فما أعطيتني إلاّ احتقارا

وحينما أراد تصوير هذا المعنى لم يجد من الصور البيانية والمعاني الراقية إلاّ قوله:

جعلتك راكبي فأنا حمارٌ وما يوماً رأيتك لي حمارا

القسم الثالث

شعراء القطيف

الفصل الأول

شعراء الاتجاه التقليدي (الكلاسيكي)

العلامة الشيخ علي الجشي (١٢٩٦ ـ ١٣٧٦ هـ):

أحد رجال الدين الأجلاّء، شغل منصب القضاء في القطيف مدة غير وجيزة، له من المؤلّفات كتاب الأنوار في العقائد، ومنظومة في التوحيد، والشواهد المنبرية (طبع في النجف ١٣٦٠ هـ) وديوان شعر باسمه (طبع في النجف ١٣٨٣ هـ) رحمه الله.

الشيخ حسين القديحي (١٣٠٢ ـ ١٣٨٧ هـ):

عالم فاضل، يرجع نسبه إلى آل البلادي (عائلة بحرينية نزحت إلى القديح)، له عدّة مؤلّفات ورسائل، وقد طبع بعضها، ولعلّ أشهرها ـ لا أهمها ـ «رياض المدح والرثاء»، وشعره تقليدي، وهو مجموع في ديوان ما زال مخطوطاً.

الملا علي الرمضان (١٣١٤ ـ ١٣٩٨ هـ تقريباً):

خطّاط وخطيب ومعلم (كتاب) له كشكول مخطوط وديوان شعر «وحي الشعور» ضمنه منظومته «ماضي القطيف وحاضرها» المعروفة، وقد طبع سنة ١٣٧٩ هـ، وأغراض الملا الرمضان منوّعة إلاّ أنّ أهل البيت (ع) أظهر في شعره. وبعض شعره جيّد رغم كلاسيكيته.

الشيخ فرج العمران (١٣٢١ ـ ١٣٩٨ هـ):

أحد فضلاء القطيف الأعلام، كان رحمه الله يتمتع بنشاط متميز نتج عنه كتابه المعروف «الأزهار لأرجية في الآثار الفرجية»، وكتاب «الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة» و «النفحات الأرجية في لمراسلات الفرجية» وديوان «الروض الأنيق في الشعر الرقيق» وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة، منها ديوانه وسيلة المشتاق».

وكان مولعا بالتخميس والتشطير، والتأريخ بصورة خاصّة. وشعره جيّد بعضه رغم كثرته.

أحمد الكوفي (١٣٢٤ هـ):

شاعر معروف، عمل في الغوص مدة ستة عشر سنة، له ديوان ضخم مخطوط، وهو من شعراء القطيف المجيدين رغم كلاسيكيته، طرق عدة أغراض أشهرها المدح والرثاء في أهل البيت والإخوانيات والفكاهة والوعظ، وله شعر ذاتي جميل.

الشيخ ميرزا حسين البريكي (١٣٢٦ ـ ١٣٩٦ هـ):

خطيب وشاعر ومعلّم (كتاب) قدير، وقد تخرّج من كتابه هذا كثير من كبار القلعة، فهو «أستاذ الجيل» كما يقول المسلم أو «مربي الجيل» كما وصفه السيد حسن العوامي.

وشعره تقليدي استغلّه في المناسبات. له من الأعمال رسالة في الحب، مذكّرات الخطيب والاتحاف لعلوم الأدباء وهما كشكولان.

الشيخ علي المرهون (١٣٣٤هـ):

عالم فاضل، يتمتع بأخلاق تدل على صفاء القلب ونقاء السريرة. له من الأعمال كتاب «شعراء القطيف» وهو أوّل مصنّف تخصص لدراسة الشعر الحسيني القطيفي، وقد اعتمدناه مصدراً ندين لصاحبه بالكثير من الفضل. ومن أعماله ديوان «المرهونيات» وكتاب «لقمان الحكيم» و «أعمال الحرمين» و «الروضة العلية» و «ديوان ابن معتوق». وكلّها مطبوعة.

وشعره تقليدي في بعضه قوة وجودة.

الملا عبد المحسن بن محمد بن نصر (١٣٣٤ ـ ١٤١١ هـ):

خطيب سيهاتي معروف، بل أستاذ لكثير من الخطباء المعروفين منهم الملّا أحمد خميس، يكتب الشعر الفصيح والعامّي، واجتمع له من ذلك ستة من المجلدات الضخام، طُبِعَ من أعماله ديوانان باللغة العامّية، وله كشكول يقع فيما يقارب الثلاثمائة والخمسين من الصفحات المتوسطة المقاس، رحمه الله.

الملا عبد الكريم الحمود (١٣٤٥ هـ):

خطيب من خطباء المنطقة البارزين، قضى عدّة سنوات مهاجراً خارج البلاد ممتهناً الخطابة والصحافة. كانت له اهتمامات سياسية انتهت بانتهاء هجرته واشتغاله بالمحاماة والأعمال الحرّة. وشعره ـ للحقيقة والتاريخ ـ من النوع الجيّد لولا اقتصاره على الأغراض التقليدية المستهلكة. وعبدالكريم الحمود: هو أحد أعضاء النادي الأدبي في المنطقة الشرقية.

الملا عبد الحميد المرهون (١٣٤٨ هـ):

خطيب بارز، وناقد اجتماعي محافظ معروف، يتميز عن رفاقه الكلاسيكيين من جيله بتنوع الأغراض والمواضيع.

الملاّ أحمد بن منصور خميس (١٣٥٢هـ):

خطيب معروف، ولد في سيهات وعاش بها، معتمداً على نفسه في تنمية ثقافته ومعارفه[١٠٤]. وشعره لا يفتقر إلى الجودة، له تخميسات جميلة قلّما تهبط عن مستوى النص المخمس. وجلّ أغراضه الشعرية في أهل البيت «ع».

الشيخ سعيد أبو المكارم «العوامي» (١٣٥٧ هـ):

خطيب يُعِدّهُ الكثيرون في مقدّمة خطباء المنطقة، يملك مكتبة تضم من النوادر الكثير الكثير، وقد وفرت له هذه المكتبة ثقافة واسعة دعت بعضهم لأن يصفه بالرجل الموسوعي[١٠٥].

له عدّة أعمال ومؤلّفات منها خمسة من الدواوين الشعرية، طبع منها «الزورق» مرتين، وله شعر عامي في أهل البيت. ومن أعماله «أعلام العوامية في القطيف» مطبوع، و «المسيحية والحسين» و «بين الهيئة والفلسفة» و «الحديث المندوب ضمن واجب المجتمع» و «كل أمر حكيم» وغير ذلك من الآثار المخطوطة.

الشيخ حسين العمران (١٣٥٩ هـ):

أحد رجال الدين الفضلاء تلقّى تعليمه ـ أولاً ـ على الطريقة النظامية، لكنّه هاجر إلى النجف عام ١٣٨٣ هـ ثم إلى قم، وعاد إلى البلاد قاضياً حياته بين بيته ومسجده.

وشعره جيد تجد بعضه موزعاً في كتاب أبيه «الأزهار الأرجية».

الشيخ إبراهيم الغراش (١٣٦١ هـ):

خطيب مقل، مُنِيَ بضعف في بصره مبكراً ثم كفّ فيما بعد. ومع هذا واصل الخطابة وطلب العلوم الدينية في النجف.

وشعره جيد رغم اتجاهه التقليدي.

محمد علي الناصر (١٣٦١ هـ):

أديب وشاعر وخطيب ومؤرّخ ونسابة، يحمل الثانوية الأدبية، إضافة إلى تحصيله الحوزوي المتقطع.

طبع له كتاب واحد (الله الخالق القدير) سنة ١٣٨٢ هـ، أمّا باقي أعماله فما تزال مخطوطة، ومنها:

١ ـ دانة من الخليج العربي: كتاب في تاريخ القديح ٣ مجلدات.

٢ ـ منظومة مضر: في القديح.

٣ ـ قصة القديح شعراً.

٤ ـ صفحات من حياة علي.

٥ ـ البهائي حياته وشعره.

٦ ـ لآلىء الأدب: كشكول.

٧ ـ رجال من عبدالقيس وصلتهم بالقطيف.

إضافة إلى أربعة دواوين شعرية مخطوطة «كلمات حزينة، أفواف الربيع، قطوف، أمّا الرابع فهو شعره في المناسبات».

يتميز عن شعراء الكلاسيكية بتنوع أغراضه ومواضيعه، ووفرة الإنتاج وغزارته.

الشيخ محسن المعلم (١٣٧٢ هـ):

ولد في الجارودية ودخل الكتاب وواصل طلب العلوم الدينية في النجف وقم المقدّسة، وعاد إلى البلاد بسبب الحرب الإيرانية العراقية. يتمتع بثقافة واسعة وقدرة بارعة على ارتجال الكلمات الطوال، وخفة ظل وتواضع كبير. له عدّة أنشطة ثقافية ومؤلّفات في الأخلاق الإسلامية والاجتماع في طريقها إلى الطبع.

وبعض شعره ـ رغم اتجاهه التقليدي ـ يحتفظ بقوة في التعبير وميل إلى الجدة.. ومنه:

القلب يعشق والعيون تحدق ... وترى النبوة بالكرامة يعبق
يممت نحو الله أوّل رحلتي ... مهوى القلوب له القلوب تحدق
وأجلت في التطواف كل مشاعري ... فإذا وجودي بالإله معلق
وظللت أسعى بين مروة والصفا ... والصحو هيمن والكثافة تمرق
وأنخت فوق المستجار بكلكلي ... وهوى على الحجر الشريف المفرق
وعرجت للرحمن خلف تقرب ... خلف المقام به التجاوب شيق
وقضيت في البيت الحرام لباتتي ... وقصدت مغنى المصطفى أتشوق

عبدالكريم ال زرع (١٣٨١ هـ):

ولد في تاروت وتلقّى تعليمه النظامي، ثم اتجه لطلب العلوم الدينية، واستقرّ به الحال موظفاً في «آرامكو».

عالج الشعر منذ طفولته، ولم يستخلّه إلاّ في المناسبات، وعادة ما تطول نفسه القصيدة لتصل المئة أو تزيد، له قدرة بارعة في فن التأريخ، ومن شعره في الفخر:

عرفت خبيء الدهر ثم هزمته ... فلان لآمالي وساعدني الصبر
أتيت إلى الدنيا ولم أك شاعراً ... ونقطة سيري في الحياة هي الصفر
ولكنني سابقت عمري فجزته ... ومزقت ثوب الجهل وانكشف الغمر
فيا حاسدي لا تخشى منّي مذمة ... ولا يلجن في قلبك الخوف والذعر
أراك كئيباً ما اجتمعنا بمجلس ... وينقبض الزرزور ما حلّق الصقر

جاسم عبد الشهيد ال قاسم (١٣٨٢ هـ):

ولد في القديح وعمل في «آرامكو» بعد الثانوية العامّة، يتمتع بثقافة نحوية بارعة، وأغلب شعره في المناسبات الدينية والاجتماعية. ومنه يرثي الحاج الملاّ علي توفيق:

نزعت عن النفس أسماها ... فصرت لها هو أسمى لها
تخذت الحياة سبيلاً إلى ... مفاخر يعتز من نالها
خدمت منابر آل الرسول ... فطوبى لنفسك طوبى لها
وأيقظت من نومة الغافلين ... عقولاً، وعلمت جهالها

وأحييت أمر الهداة الكرام ... وبينت للناس أفضالها
كفاك بأن كنت مولى الحسين ... وقد نالت النفس آمالها
فكيف تضيق عليك اللحود ... وهذا الحسين تجلّى لها

الشيخ مهدي المصلي (١٣٨٣ هـ):

ولد في تاروت، ويحمل الثانوية الأدبية، ضمّ إليها تحصيل حوزوي لا بأس به. وهو خطيب جيد. برز في الشعر الاجتماعي الإصلاحي، رغم ميوله إلى الرومانسية في الآونة الأخيرة.

محمد مكي الناصر (١٣٨٣ هـ):

شاعر مكثر، يكاد لا يغيب عن مناسبات القديح، يعمل موظفاً في وزارة البترول ويحمل دبلوم الثانوية التجارية.

وأهم أغراضه المدّح والرثاء وعلى الخصوص مدح ورثاء أهل البيت «ع» والغزل والوصف.

السيد منير الخباز (١٣٨٤ هـ):

خطيب بارز، وموجه اجتماعي ناجح، يتمتع بذكاء ممتاز وثقافة متعددة الجوانب، ساعده في كل ذلك تحصيل حوزوي تجاوز مرحلة المقدمات والسطوح في مدة يسيرة.

والسيد منير؛ من الموهوبين الذين تميّزوا بنبوغ مبكر، فلقد انخرط في الاحتفالات الدينية (شعر المناسبات) بقصائد جيدة وهو لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره. وشعره من النوع الذي يجمع بين متانة التعبير وقوة النفس والرقة والسهولة الممتنعة في آن معاً.

له مجموعات شعرية مخطوطة، منها منظومة رجزية بلغت الخمسمائة من الأبيات في تأريخ القطيف. وقد مرّ ذكرها.

حبيب رضي ال محمود (١٣٨٩ هـ):

ولد في القديح وتلقّى تعليمه النظامي، عمل في مختبر الجودة النوعية بالدمّام ولا يزال. وهو شاعر مكثر لدرجة يضيع جيده بين رديئه، ومن شعره يرثي عين اللبانية:

منعونا ورودها والماءا ... بعد عهد بها صباح مساءا
بعد عهد قضيته وصحابي ... نكتسي لذة السرور رداءا
كيف مرّ الزمان واحتال حتّى ... أصبحت فيه والصعيد سواءا
ففقدنا بفقدها منتدانا ... وفقدنا بفقدها أصدقاءا
ونداسى ساروا بنهج هوانا ... ورعوا ودنا وصانوا الوفاءا
هي كانت حبالة الوصل والآن ... حبال الوصال صار الرجاءا

والحقيقة: هي أنّ الشعراء التقليديين في القطيف أكثر من أن نحصيهم في وقت مثل وقتنا الضيق، ولم يكن الشعراء الذين تعرضنا لهم إلاّ نماذج يسيرة ذكرناها حسب ما تيسر لنا وقتاً وجهداً. على أنّ هناك

من الشعراء من ذكرته بعض المصادر، كالشيخ علي المرهون (حفظه الله) في كتابه «شعراء القطيف» المطبوع سنة ١٣٨٥ هـ. الذي ذكر جملة من الشعراء التقليديين وهم:

الملاّ محمد آل نتيف والشيخ عبدالكريم الفرج والملاّ حسن الجامد وملاّ علي بن سالم والملاّ إبراهيم الحمار والملاّ علي الربيع والشيخ محمد صالح المبارك «الصفواني» والسيد أسعد الموسوي والسيد طاهر المير والشيخ منصور البيات والملاّ حسن الجامع والملا منصور آل عاشور الآجالي وعبدالنبي المسباح والسيد جعفر الماجد وأحمد الراشد والسيد هاشم المسحر والملاّ علي قيصوم وأحمد العوى والملاّ مكي الجارودي والشيخ مجيد بن الشيخ علي العوامي وعلي الزاهر والملاّ صادق والملاّ كاظم عبدالحميد أبناء الشيخ منصور المرهون ومحمد علي المسبح وكاظم المرهون والملاّ راضي المرهون والملاّ راضي الراضي[١٠٦]. رحم الله الماضين.

على أنّ هناك شعراء غير هؤلاء منهم، تمثلاً لا حصراً:

الملاّ حسن المقيلي والملاّ علي عبدالكريم الفرج والملاّ علي المزين والملاّ علي الطويل والشيخ عبدالعظيم الشيخ وحسن الفرج وناصر الخاطر وعدنان أبو المكارم وعلي طريش وعبدالله العبيدان وعلي البشراوي وناصر سباع والسيد زكي الشاعر وعبدالعزيز سليم.. وأسماء كثيرة لا يسعنا تعديدها!..

ومن هؤلاء الشعراء من لم يتعدّ طور المراحل الأوّلية في ممارسة الشعر بحيث لا يصح اعتباره شاعراً، أخذاً بمعايير كثيرة. وقد أهملنا ذكرهم.

الفصل الثاني
شعراء الاتجاهات الحديثة

الشيخ عبدالحميد الخطي (١٣٣١ هـ):

هو رائد الحداثة من شعراء القطيف[١٠٧] تلقّى تعليمه الديني الأوّل في القطيف وأنهى السطوح في النجف، وعاد إلى البلاد سنة ١٣٦٤ هـ. نشر بعض أعماله في بعض الصحف (مثل العرفان والأديب والألـواح والرائد والاعتدال والمنهل وصوت البحرين) وله ثلاثة دواوين مخطوطة (وحي الثلاثين واللحن الحزين ورباعيات من كل حقل زهرة) وله نثر إلاّ أنّه لم يعتن بجمعه.

والشيخ الخطي هو القاضي الحالي لمحكمة الأوقاف والمواريث في القطيف منذ سنة ١٣٩٥ هـ (لا سنة ١٣٩٤ هـ كما ذكر المسلم).

محمد سعيد الجشي (١٣٣٩ ـ ١٤١٠ هـ):

شاعر مجيد، برز ـ أكثر ما برز ـ في المناسبات، تميّز عن شعراء القطيف المجددين بشعره الواقعي، ودفاعه عن العقيدة الإسلامية. وكان يدفع بشعره إلى بعض خطباء المنابر الحسينية على ألاّ يذكر اسمه فيه احتياطاً في طلب الثواب.

له ديوان من الشعر ما يزالان مخطوطين، إلاّ إنّ بعض قصائده منشور في صحف عديدة. رحمه الله.

محمد سعيد المسلم (١٣٤١ هـ):

شاعر وأديب ومؤرخ، تلقّى تعليمه في القطيف والعراق، امتزجت ثقافته بعدّة اتجاهات فكرية. عمل في بنك الرياض السعودي حتى أُحيل على التقاعد وهو مدير لأحد فروعه. كتب الشعر الحديث «شعر التفعيلة» إلاّ أنّ شعره العمودي أغلب.

له عدّة مؤلّفات منها:

١ ـ شفق الأحلام: ديوان شعر مطبوع (١٩٥٥م).

٢ ـ عندما تشرق الشمس: وهو شفق الأحلام مع تغييرات يسيرة.

٣ ـ ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربي، وهو أوّل كتاب ظهر متخصصاً في دراسة المنطقة.

٤ ـ واحة على ضفاف الخليج: دراسة تاريخية لمنطقة القطيف.

٥ ـ القطيف: وهو خلاص كتابه السابق، وضعه ليكون أحد كتب سلسلة هذه بلادنا الصادرة عن الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمملكة.

٦ ـ هذا قدري: قصة طويلة.

هذا غير كتابه الذي ما يزال تحت الإعداد «الخليج حضارة وتاريخ» إضافة إلى أعماله الأخرى.

والواقع أنّ محمد سعيد المسلم رجل لم ينل بعد حقه من الشهرة رغم أعماله هذه وغيرها.

محمد سعيد الخنيزي (١٣٤٣ هـ)[١٠٨]:

شاعر معروف، امتهن المحاماة رغم ضعف بصره الذي حرمه الكثير، وكان لذلك أثر بارز في شعره إذ طفت عليه النظرة السوداوية إلى الحياة، ولا سيما في ديوانه الأوّل «النغم الجريح» المطبوع سنة ١٣٨١ هـ.

نشر في عدة مجلّات محلية وعربية من أهمها الحرفان والأديب والمعارف وغيرها. له غير ديوانه المذكور ديوانان مطبوعان هما: «شيء أسمه الحب طبع سنة ١٣٩٦ هـ وشمس بلا أفق طبع سنة ١٤٠٥ هـ» بالإضافة إلى «مدينة الدراري» و «كانوا على الدرب» و «أضواء من الشمس» وكلّها دواوين مخطوطة، و خيوط من الشمس» وهي سيرة ذاتية.

عبدالرسول الجشي (١٣٤٤ هـ):

شاعر كبير رغم جهل الكثيرين إيّاه، تلقّى تعليمه الديني في النجف، وعاد إلى القطيف مع والده لعلاّمة الجشي، لكنّه عاد إلى العراق مهاجراً سنة ١٣٨٩ هـ، ليشغل بعض المناصب الحزبية هناك بعدما خلّى عن المكانة العلمية الدينية التي حصلها هناك.

شارك ـ أثناء إقامته الأولى في النجف ـ في كثير من المهرجانات الأدبية، كما كان أحد مؤسسي الرابطة لأدبية، وقد تولّى إدارة مكتبتها زمناً غير قصير، وقام بتحرير مجلة الغري. له عدّة أعمال ومؤلّفات شعرية نقدية وتاريخية لم ينشر منها إلاّ ديوان شعري تحت عنوان «غزل».

عبدالواحد حسن الخنيزي (١٣٤٥ ـ ١٤٠١ هـ):

شاعر مقل، له ديوان مطبوع «رسمت قلبي» وقد طبع سنة ١٣٩٣ هـ وكله أو جلّه من الغزل الصريح أو يكاد، بل إنّه شاعر غزل، وقد بالغ بعضهم بتسميته شاعر المرأة القطيفي، والواقع أنّه شاعر متفائل بشوش رغم تغاضيه عن الواقع.

عبد الله الشيخ (١٣٤٥ هـ) تقريباً:

من عائلة آل طعان، ولد في القديح وقضى أكثر حياته في البحرين، وواصل دراسته النظامية حتى حاز على الماجستير في الحقوق من مصر وكان زميلاً للقصيبي.

مارس الشعر والنقد وله أعمال لم يكتب لها الظهور حتّى الآن. وهو شاعر مبدع مع عدم معرفة الكثيرين له.

عباس مهدي خزام (١٣٥٢ هـ):

شاعر معروف نشر ثلاثة دواوين: «أنغام وآلام» و «باقة قلب» و «الجريح الصامد» ولديه ديوان مخطوط «صراع مع الحياة» كما له كتاب «كيف ينظم الشعر» وغير ذلك.

مارس في بداية شبابه الخطابة ثم الصحافة ومارس غيرهما من المهن. وهو شاعر مغرق في الرومانسية متشائم كل التشاؤم إلاّ أنّه مبدع في ذلك صادق كل الصدق، وقد اتجه أخيراً نحو الواقعية إلاّ أنّ ذلك لم ينكّنه من التخلّص من آثار حزنه وتشاؤمه(١٠٩).

السيد عدنان العوامي (١٣٥٧ هـ):

شاعر معروف، بدأ رحلته الأدبية بكتابة المقالة الاجتماعية ثم اتجه نحو الشعر، ونشر في دوريات عديدة محلية وعربية كالمنهل السعودية والقلم السودانية.

له ديوان شعر في طريقه إلى الطبع اسمه «شاطىء اليباب»، كما قام بجمع ما تبقّى من شعر صديقه الراحل عبدالوهاب حسن المهدي تحت عنوان «بقايا الرماد» وقدم الجزء الأوّل منه للطبع.

والسيد عدنان شاعر كبير بارز، حتّى في شعر المناسبات!

عبدالوهاب حسن المهدي (١٣٥٨ ـ ١٤٠٦ هـ):

دخل ميدان العمل الوظيفي بعد دراسته الابتدائية، مارس الشعر واجتمعت له عدّة دواوين منها «ربيع الشباب» و «قبس الإشراق» و «أغنيات من القطيف» و «من وحي الذكرى» و «شواطىء الأحلام» إضافة إلى كتابه «خواطر شاعر» وأعماله ذات الاهتمام بالتراث القطيفي.

إلاّ إنّ هذه الأعمال كلها قد أكلتها النيران في حادث حريق مريع نشب في منزله وذهب ضحيته هو وأفراد عائلته رحمهم الله جميعاً.

محمد رضا الشماسي (١٣٦٠ هـ):

التحق بكلية الفقه في النجف بعد إنهاء الثانوية العامة، وعاد إلى البلاد ليعمل معيداً في جامعة البترول والمعادن، ويحصل على بعثة من الجامعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لنيل درجة الماجستير والعمل محاضراً في الجامعة.

يمارس المقالة الأدبية ويكتب الشعر العمودي. وهو أحد المتأثرين بالمدرسة الجواهرية. ومن شعره من قصيدة «الأحساء»:

أيّها المفتون في ساحرة ... قد نضت عن حسنها ما حجبا
يستجم السحر في أفيائها ... إن شكا طول السرى أو تعبا
وإذا ما اصطاف في رابية ... وجد الجدب نعيماً مخصباً
وغدا بين أقاح وشذا ... وسواق أو غدير أشنبا
نثر الحسن أكاليل جنى ... في ذرى النخل تسمّى رطبا
والمروج الفيح نشوى أترى ... كأس «باخوس» عليها سكبا
أم ترى «ابن العبد» يشدو فوقها ... غزلاً يسكر منها السببا
أم أهازيج العيوني الذي ... أسمع الآفاق شعراً معجبا[١١٠]

سعيد البريكي (١٣٦١ هـ):

شاعر يكتب الشعر بنوعيه العمودي والحر والأوّل أظهر ـ فيما يبدو ـ وهو يكتب إلى ذلك، الشعر باللغة الإنجليزية.

ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصل على البكالريوس وعمل معيداً في جامعة البترول والمعادن، ثم عاد إلى الولايات المتحدة ليحصل على الماجستير ويواصل حياته العملية والأدبية.

حسن السبع (١٣٦٥ هـ):

ولد في سيهات وبها تلقّى تعليمه النظامي، يعمل حالياً مرظفاً في وزارة البرق والبريد والهاتف، وهو مدير معهد البريد بالدمّام.

يمارس، من ألوان الأدب، الشعر بنوعيه العمودي والحر بالإضافة إلى المقالة الأدبية والنقدية والمترجمة.

وحسن السبع هو أحد كُتّاب الزاوية الصحفية البارزين في المملكة، يساعده على ذلك ثقافة منوّعة وأسلوب سهل ممتنع، كما يقال.

تجد بعض أنشطته الأدبية منشوراً في صحف محلية عديدة.

محمد علي توفيق (١٣٦٥ هـ):

ولد في القديح، يحمل البكالوريوس ويعمل مديراً لفرع بنك الرياض بالقطيف وهو شاعر مقل، بل إنّ تجربته الشعرية لم تستقم إلاّ في مرحلة متأخرة. ومن شعره في رثاء أبيه الملاّ علي توفيق:

أبتــاه وجهــك لا يزال بمـقلتي ... وحيا وطيفــك لا يبــارح مرقـدي
وجنــان ذكــرك ديمــة رقــراقــة ... كالحــب لم يرحــل ولم يتــبــدد
ذكــر تجلل بالــثــنــاء معــطراً ... ونــدى تدفــق من جواد أجــود
وسنــين عمــر صغت من أيّامهـا ... لحن التـذلــل للإلــه الأوحــد
كم كنت تعمـر بالصــلاة وبالدعا ... أجـواءنا، في البيت أو في المسجد
وتــرتـل الآيات في غسق الـدجى ... لحناً يموج بعـطره الغض الندي

السيد حسن السيد (١٣٦٦ هـ):

شاعر يعد من شعراء المملكة العربية السعودية الكبار يحمل البكالوريوس في الإدارة الصناعية، مارس كتابة المقالة الأدبية والنقدية، والقصة القصيرة معالجاً بعض القضايا الاجتماعية الإنسانية بأسلوب تصويري ممتاز.

عالج في شعره أغراضاً ومواضيع عديدة، إلاّ أنّه برز في الأغراض الوجدانية بوجه خاص. نشر في دوريات كثيرة (منها المنهل والعرب والدعوة والقافلة، والقلم السودانية).

ولديه عدة أعمال أهمها ديوانان من الشعر: (مرافىء الدموع) و (الدمع العاشق)، وكتاب (في رحاب أهل البيت[١١١])، ولم يعتنِ بجمع آثاره النثرية حتّى الآن.

الدكتور أحمد الشيخ محمد تقي المعتوق:

أديب وشاعر، حصل على الماجستير من جامعة بغداد ثم على الدكتوراة في الأدب المقارن من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية. يتميز بثقافة واسعة ومتشعبة ويتقن عدّة لغات أجنبية، ويعمل حالياً في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن. وله عدّة دراسات وبحوث وأعمال أدبية.

والواقع أنّه بدأ شاعراً عمودياً، لكنّه تأثّر بدراسته الأكاديمية واطلاعه على الألوان الأدبية العالمية المختلفة فاتجه نحو الشعر الحديث. وشعره الحديث رمزي يحتفظ بالتفعيلة العروضية، تجد بعضه منشوراً في «القافلة» و «البيان» و «إبداع» وغيرها من الدوريات الثقافية.

حسن اليوسف (١٣٦٩ هـ):

ولد في سيهات وتلقّى تعليمه ثم دخل المعهد التجاري، وواصل دراسته وحصل على البكالوريوس من الولايات المتحدة الأمريكية وعمل في شركة (آرامكو السعودية).

وهو شاعر يمتلك موهبة ممتازة، له ممارسات في القصة الشعرية.

له عدّة دواوين شعرية لا تزال مخطوطة.

وجدي المحروس (١٣٧٠ هـ):

شاعر عصامي في أدبه، كما يصفه السيد حسن العوامي، إذ ضن عليه القدر بنعمة البصر، ومع ذلك اتصف ـ في شعره ـ بتفائله وتغنيه للأمل والمستقبل، وهذا ما يميزه عن الشعراء الآخرين.

أنفق مدة طويلة من حياته الشعرية يكتب بأسلوب القدماء (الابتداء بالتشبيب والنسيب) وهذا يجعله من الشعراء التقليديين، لولا انحرافه عنهم فيما بعد!

لديه مجموعات شعرية جيدة ما يزال يراها قاصرة عن مستوى النشر.. !

وهذا التواضع المفرط هو آفة القطيف.. !

نضال أبو السعود (١٣٧٤ هـ):

شاعر جمع بين اهتماماته الأدبية والأعمال الحرّة، ومزج بين الالتزام والعصرية المتجددة[١١٢].

ومن شعره هذه المقطوعة الجميلة التي وظف فيها أفكار الغزل في موضوع آخر، هو موضوع اللغة العربية:

إذا جاءت رسائلها ... يصير الحرف مصباحا
ويعبق من فواصلها ... عبير النور فوّاحا
وألمح بين أسطرها ... قرابيناً وأرواحا
وأشرب من بريق الوجـ ... ـد أقداحاً فأقداحا

* * *

إذا جاءت رسائلها ... كسوت الليل مرجانا
وقصبت الربا ذهباً ... من الأحلام ريّانا
لأهديه لفاتنتي ... إذا ما حان لقيانا
فما أحلى رسائلها ... تذيب العمر تحنانا
وإلهاماً بريشتها ... يميل الحرف إنسانا[١١٣]

الدكتور أحمد الشويخات (١٣٧٥ هـ):

ولد في سيهات وتلقّى تعليمه حتى حصوله على الدكتواره، وعمل في جامعة الملك فيصل ولا يزال.

له عدّة أنشطة أدبية ودراسات نقدية وبحوث علمية، إضافة إلى ممارسته الشعر الحر المفرط في السريالية[١١٤].

عصر الشيخ (١٣٧٥ هـ):

أحد أحفاد الشيخ حسين القديحي (ره)، يحمل الماجستير في هندسة الالكترونيات من جامعة «ارزوناستايت» بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل في (آرامكو السعودية).

يكتب الشعر الحر، لكنه يعود إلى العمودي في المناسبات، كما مارس كتابة القصة القصيرة والمقالة الأدبية، وله مشاركات في بعض المهرجانات الأدبية، له ديوان مطبوع «متى تأتي» وقد طبع سنة ١٩٨٥م.

عادل عبّاس خزام:

شاعر شاب معروف، يكتب الشعر الحر السريالي، قلّما يفهم قارئه شيئاً مما يكتبه! لكنّ إنتاجه يدل

على صوت أدبي يتميز بنظرة مستقبلية للواقع والحياة والناس وهذا هو شأن السرياليين. تجد بعض قصائده موزعاً في الصحف المحلية والخليجية.

محمد رضي أبو عبد الله (١٣٨٣ هـ):

شاعر من جزيرة تاروت بالقطيف، يعمل مدرِّساً في المدارس الحكومية، يكتب الشعر العمودي والحر، ضمّ إليهما كتابة الشعر العامي، وهو مجيد في كل ذلك مارس كتابة القصة الشعرية الاجتماعية، وكل إنتاجه مخطوط، وهو ما يدعو على الأسف!.

حسين الجامع (١٣٨٤ هـ):

ولد في القلعة، يحمل البكالوريوس في علوم الأغذية من جامعة الملك فيصل بالأحساء، ويعمل مدرِّساً في المدارس الحكومية، وهو صاحب العينية المعروفة في السيد الخوئي ـ دام ظله العالي ـ وشعره متجدد رغم كلاسيكيته. له ديوان مخطوط «إيحاء» ومن شعره:

أنت لي يا أم كالماء قوام للحياة
أنت لي كالبدر إذ يرسل في الليل ضياه
أنت لي في مطلع الفجر ترانيم صلاة
فإذا مت وغيبت بقبري ... فاعذريني

* * *

إيه يا أمّاه ... ما أصعب أن نفترقا
إيه يا حورية، فاضت عفافاً وتقى
كم تحملت لكي نسعد ألوان الشقا
كيف ألتذ بعيشي، كيف تهنيني الحياة
كلماتي «دون معناك هزال» فاعذريني

شفيق العبادي (١٣٨٥ هـ):

ولد في تاروت، وحصل على الثانوية العامّة، وأنهى السنة التحضيرية في جامعة البترول، ثم التحق بالوظائف الحكومية. وله مشاركات شعرية في المناسبات الدينية والإجتماعية قدمته إلى الجمهور، في المنطقة، وأثبتت وجوده المتميز بين الشعراء.

يتمتع بموهبة شعرية ممتازة وخيال واسع ونفس قوي، له مجموعة شعرية مخطوطة. وقد مرّ علينا شيء من روائعه.

فاضل الصويعل (١٣٨٦ هـ):

ولد في العوامية، وحصل على الثانوية العامة فيها، ثم هجر الدراسة إلى ميدان العمل الحرّ. يكتب الشعر الحر فقط.

فوزي الدهّان:

ولد في القطيف وتلقى تعليمه النظامي، وهو يمارس الشعر الحر له مشاركات في بعض الأمسيات الشعرية المحلية.

عبد الله سعيد البيك (١٣٨٦ هـ):

ولد في الوسادة وعاش. وأنهى الدراسة المدرسية في القطيف، وهو على أبواب التخرّج من الجامعة.
يكتب الشعر بنوعيه، إلاّ أنّ العمودي أظهر في شعره، وله مشاركات شعرية ملحوظة على المستوى الشبابي، إلاّ أنّه لم ينشر في الصحف.

حسين آل رقيه (١٣٧٦ هـ):

أحد المتأثّرين بالمدارس الشعرية الحديثة، غلب على شعره الاتجاه الحداثي لدرجة تنفره عن الشعر العمودي. نشر شيئاً يسيراً من شعره في بعض الصحف المحلية. وهو الآن على أبواب التخرّج من الجامعة.

محمد عبد الشهيد ال قاسم (١٣٨٦ هـ):

طالب علوم دينية، يتمتع بثقافة منوّعة، وله اهتمامات بالتراث المحلّي، ومحاولات في القصّة القصيرة والمقالة الأدبية. وشعره عمودي متجدد.

عبد الخالق عبد الجليل الجنبي (١٣٨٦ هـ):

أحد طلبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، عرف عنه الميول إلى الشعر القديم وأساليبه في الكتابة، إلاّ أنّه غيّر اتجاهه ـ فجأة ـ نحو شعر التفعيلة. ويتصف شعره بنظرة متشائمة حزينة، ولعلّ ذلك راجع إلى إصابته التي حرمته الحرية التي يتمتع بها سائر البشر[١١٥].

السيد محسن الشبركة (١٣٨٨ هـ):

يحمل البكالوريوس في الآداب من جامعة الملك سعود في الرياض، ويعمل مدرّساً في المدارس الحكومية. يتمتع بثقافة أدبية عصرية جيدة، ونظرة نقدية جميلة. وهو يجمع بين نوعي الشعر في كتابته.
ومن شعره:

مساء تجيء الريح محمّلة بالأغاني
وينتفض الحزن تحت رمال الجسد
مساء.. تجيئين ـ يا امرأة الروح ـ مشمولة بالديار البعيدة
تجيئين مغروسة كالنخيل
ومحمولة في السحاب الثقال
متى تنزفي في مطراً تسكني في مآقي عيوني
وتنتشري في في زوايا جنوني

ألا فامطري داخلي وارحميني
فمن لم يمت لم يعش مرتين . .
مساء تجيئين محمولة في الرياح . . .

علي عبد الله الفرج (١٣٩١ هـ):

طالب علوم دينية من القديح ، يحمل الثانوية الأدبية ، يتميز بأسلوب جميل رائع وحس أدبي رفيع ، رغم قلّة إنتاجه . ومن شعره :

أنشودة الأشواق في خاطري ... أنشدنيها طرفك الساحر
ما طار قلبي في سماء الهوى ... إلاّ وأنت القمر الزاهر
أنت أماني التي صغتها ... نرجسة ينشدها الحاضر
فلترتع الأمال في روضة ... يجول فيها ملك طاهر

* * * *

وإضافة إلى كل هؤلاء الشعراء : بدأت تظهر ، على الساحة الأدبية القطيفية ، أقلام شعرية طموحة وجادة ، أمثال : محمد الماجد وأحمد نصر حمود وجمال مغيص . نأمل أن يتم لنا مستقبلاً إمكان دراسة إنتاجهم ، وإنتاج غيرهم من الشعراء الذين ما زالوا منطوين في أبراج عزلتهم وخفي عنّا أمرهم .

أبرز شعراء القطيف

أمّا أبرز شعراء القطيف ، من حيث الشهرة والإجادة ؛ فهم : الشيخ الخطي وعبدالرسول الجشي ومحمد سعيد الخنيزي ومحمد سعيد المسلم والسيد عدنان العوامي وعبّاس خزام ومحمد رضا الشماسي والسيد حسن السيد علوي أبو الرحي و د/ أحمد المعتوق والدكتور الشويخات ووجدي المحروس وعادل خزام . وكلهم من شعراء الاتجاهات الحديثة .

أمّا من الشعراء التقليديين ؛ فأبرزهم : عبدالكريم الحمود والشيخ فرج العمران والشيخ سعيد أبو المكارم وملا محمد علي الناصر وملا علي الرمضان والشيخ ميرزا البريكي وأحمد الكوفي والسيد منير الخبّاز .

والحقيقة ؛ أنّه لم يحقق أحد من هؤلاء شهرة واسعة يمكن أن نعتبرها شهرة حقيقية ، ومرد ذلك هو المأساة التي مُنيَ بها الشعر القطيفي . وهي انطواء الشعراء على أنفسهم وحبس إنتاجهم ضمن أوراقهم الخاصّة ، وكأنّ هذا الإنتاج أمر يستحق به العار . وعلة ذلك : إمّا أن يكون تواضعاً مفرطاً لا مبرر له ، أو ناتجاً عن مشاغل الحياة المعيشية ، والسعي وراء لقمة العيش .

المصادر

أ ـ كتب ودواوين مطبوعة:

١ ـ ساحل الذهب الأسود ..... محمد سعيد المسلم
٢ ـ شفق الأحلام .... (ديوان) ..... محمد سعيد المسلم
٣ ـ عندما تشرق الشمس .... (ديوان) ..... محمد سعيد المسلم
٤ ـ القطيف ..... محمد سعيد المسلم
٥ ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ..... عبد العلي آل سيف
٦ ـ شعراء القطيف ..... الشيخ علي المرهون
٧ ـ ديوان ابن معتوق ..... الشيخ علي المرهون
٨ ـ ذكرى الإمام الخنيزي ..... الشيخ عبدالله الخنيزي
٩ ـ ذكرى الزعيم الخنيزي ..... الشيخ عبدالله الخنيزي
١٠ ـ الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ..... الشيخ فرج العمران
١١ ـ وسيلة المشتاق .... (ديوان) ..... الشيخ فرج العمران
١٢ ـ أعلام العوامية في القطيف ..... الشيخ سعيد أبو المكارم
١٣ ـ الزورق .... (ديوان) ..... الشيخ سعيد أبو المكارم
١٤ ـ ديوان الشيخ علي الجشي ..... الشيخ علي الجشي
١٥ ـ وحي الشعور .... (ديوان) ..... الملا علي الرمضان
١٦ ـ النغم الجريح .... (ديوان) ..... محمد سعيد الخنيزي
١٧ ـ شيء أسمه الحب .... (ديوان) ..... محمد سعيد الخنيزي
١٨ ـ شمس بلا أفق .... (ديوان) ..... محمد سعيد الخنيزي
١٩ ـ متى تأتي .... (ديوان) ..... عمر الشيخ
٢٠ ـ رسمت قلبي .... (ديوان) ..... عبدالواحد الخنيزي
٢١ ـ رياض المدح والرثاء .... (دواوين) ..... الشيخ حسين القديحي
٢٢ ـ الشعر العاملي الحديث ..... د. قيصر مصطفى
٢٣ ـ معالم الأدب العربي ..... د. عمر فروخ
٢٤ ـ نحو إسلام سليم ..... الشيخ أحمد مغنيه
٢٥ ـ الأمسية الشعرية الأولى (آلة كاتبة) ..... نادي الخليج بسيهات
٢٦ ـ أدباء من الخليج العربي ..... عبدالله شباط

٢٧ ـ الأعـــلام ..... خير الدين الزركلي
٢٨ ـ خالد الفرج ..... خالد سعود الزيد
٢٩ ـ ديوان خالد الفرج ..... خالد سعود الزيد
٣٠ ـ خالد الفرج ..... عبدالله شباط
٣١ ـ البيان والتبيين ..... أبو عثمان الجاحظ
٣٢ ـ الله الخالق القدير ..... محمد علي الناصر
٣٣ ـ في النقد والأدب ..... إيليا الحاوي

ب ـ صحف:

١ ـ مجلة الشرق [أصول مقالات «شعراء من بلادي» للسيد حسن العوامي].
٢ ـ مجلة المنهل السعودية.
٣ ـ مجلة العرب السعودية.
٤ ـ مجلة القلم السودانية.
٥ ـ مجلة القافلة السعودية.
٦ ـ مجلة العرفان اللبنانية.
٧ ـ مجلة البيان المصرية.
٨ ـ جريدة الرياض السعودية.
٩ ـ جريدة الندوة السعودية.
١٠ ـ جريدة اليوم السعودية.

ج ـ مصادر أخرى:

١ ـ دواوين ومجموعات شعرية مخطوطة لشعراء وقد أشرنا إليها في الهوامش.
٢ ـ أشرطة كاسيت مسجلة لوقائع احتفالات دينية واجتماعية مختلفة.

ملاحظة: حبيب رضي محمود، هو ابن عم المؤلف.. وليس المؤلف نفسه.. للأهمية.

الحواشي:

(١) ـ الأبيات لعبدالرسول الخشي.

(٢) ـ البيان والتبيين ١ / ٩٧، القطيف وأضواء على شعرها المعاصر. والأعجب من عجب الجاحظ؛ أنّ المؤرخين لم يهتموا بالمنطقة قدر اهتمامهم بسواها، كالحجاز والعراق وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي وإيران وغيرها من الديار العربية والإسلامية.

(٣) ـ ساحل الذهب الأسود ٢٦٤ .

(٤) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٧٩ .

(٥) ـ (٦) ـ (٧) ـ ساحل الذهب الأسود ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٨) ـ ساحل الذهب الأسود ٢٧١ ، القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٨١ ، القطيف ٢٢٦ .

(٩) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٨٢ .

(١٠) ـ راجع الأزهار الأرجية ٤ / ١٧٠ ، وشعراء القطيف ١٠ ، القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٨٣ ، والقطيف ٢٢٦ .

(١١) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٨٤ .

(١٢) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٨٥ .

(١٣) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر: ٨٦ .

(١٤) ـ معالم الأدب العربي: د / عمر فروخ ٢ / ٣٣١ ، ومصادره .

(١٥) ـ راجع شعراء القطيف: القطيف وأضواء على شعرها المعاصر: .

(١٦) ـ الأزهار الأرجية ٤ / ١٧٢ وشعراء القطيف ٣٤ . وفي القطيف وأضواء على شعرها المعاصر سنة ١١٦٠ . وهذا خطأ .

(١٧) ـ شعراء القطيف: ٤٠ .

(١٨) ـ شعراء القطيف: ١ / ٦٦ .

(١٩) ـ ساحل الذهب الأسود ٢٨٥ .

(٢٠) ـ المصدر السابق: ٢٨٤ .

(٢١) ـ أعلام الحرامية في القطيف: ٢ / ٦٢ ، شعراء القطيف: ١ / ٢١٦ .

(٢٢) ـ المصدر السابق ٢ / ٢٠ .

(٢٣) ـ راجع ـ إن شئت ـ أنوار البدرين: للشيخ علي البلادي القديحي ، والأزهار الأرجية: للشيخ فرج العمران وشعراء القطيف: للشيخ علي المرهون ، والقطيف وأضواء على شعرها المعاصر: عبدالعلي آل سيف وغيرها .

(٢٤) ـ ساحل الذهب الأسود ١٩٣ . والمعروف أنّ القطيف دخلت في الحكم السعودي سلماً ، بل رفضت حماية بريطانيا التي عرضت عليها ، على اعتبار أنّ بريطانيا دولة غير مسلمة .

(٢٥) ـ من أهم سلبيات ذلك: هو انصراف السكّان عن الأعمال الزراعية إلى الوظائف الحكومية والأعمال التجارية وقد خلف ذلك مساحات كبيرة من النخيل تموت رخيصة القدر .

(٢٦) ـ القطيف: ٢٢١ .

(٢٧) ـ وفيما يبدو أنّ أهالي القطيف لا يحتفلون بغير المناسبات السعيدة .

(٢٨) ـ ذكر الأستاذ المسلم أنّ عمر الشيخ من الشعراء الذين خلصوا إلى كتابة الشعر الحر فقط وهذا قول غير دقيق . راجع القطيف ص ٢٣١ .

(٢٩) ـ ذكر ذلك أيضاً الأستاذ المسلم ، ولكنّه عمّم في كتابه (القطيف ص ٢٢٨) حكمه على كل الشعراء الذين ساروا على النهج التقليدي!

(٣٠) ـ القطيف: محمد سعيد المسلم ص ٢٢٨ .

(٣١) ـ القطيف ص ٢٢٩ .

(٣٢) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ص ٢٦٧ ، وتجد مضمونه في مواضع كثيرة من كتابه .

(٣٣) ـ راجع إهداء ديوانه «شمس بلا أفق» .

(٣٤) ـ ذكرى الإمام الخنيزي ص ٩٠ .

(٣٥) ـ القطيف: ص ٢٣١ .

(٣٦) ـ وحي الشعور ٩٦.

(٣٧) ـ قام الشيخ فرج العمران رحمه الله بالتعليق عليها، أو شرحها على الأصح.

(٣٨) ـ مما يجدر ذكره في هذا الموضوع، أنّ الأستاذ السيف عد هذه المنظومة ـ كما عدّ غيرها ـ من الشعر الملحمي! وهذا حكم بعيد عن المرضرعية.

(٣٩) ـ أثبتها العلاّمة الشيخ فرج العمران في أزهاره ١٣ / ٢١٢، إلاّ أنّ الأستاذ الناصر أجرى عليها بعض التعديلات فيما بعد وطوّرها وزاد عليها وجمعها في كرّاسة صغيرة.

(٤٠) ـ والراقع أنّ هذه العادة لم تقتصر على القديح فحسب وإنّما شملت أغلب سكّان القطيف وقراها.

(٤١) ـ تاريخ بناء السور عام ٢١٦ هـ.

(٤٢) ـ جده العلاّمة هو الشيخ فرج العمران (رحمه الله). راجع شعراء القطيف المعاصرون: الأستاذ عبدالله العبد المحسن.

(٤٣) ـ راجع القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٢٢٤.

(٤٤) ـ طبع الشيخ كتابه سنة ١٣٨٥ هـ.

(٤٥) ـ وحي الشعور ٥٠.

(٤٦) ـ شعراء القطيف ٢ / ١٦٢، ونقلها السيف في القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ص ١٢٧.

(٤٧) ـ شعراء القطيف: ٢ / ١٥٠.

(٤٨) ـ شعراء القطيف: ٢ / ١١٢.

(٤٩) ـ شعراء القطيف: ٢ / ٩٤.

(٥٠) ـ شعراء القطيف ترجمة الشاعر.

(٥١) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ١٥٥.

(٥٢) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ١٣٠. ذكرى الإمام الخنيزي ١١٥.

(٥٣) ـ الأزهار: ١٥ / ٣٢٨.

(٥٤) ـ ديوانه «مرافىء الدموع» مخطوط.

(٥٥) ـ جريدة اليوم عدد ٥٧١٥ في ٣٠ / ٦ / ١٤٠٩ هـ مقالة عن الشاعر للأستاذ سعود الفرج.

(٥٦) ـ شفق الأحلام محمد سعيد المسلم ص ٧٩. وكان قد نشرها في مجلة العرفان اللبنانية، كما أثبتها في الطبعة الثانية لديوانه حينما بدل اسمه إلى «عندما تشرق الشمس» مع عدّة تنقيحات وإضافات يسيرة.

(٥٧) ـ ديوانه «تطرف» مخطوط.

(٥٨) ـ من الشاعر ذاته في المجلسات الأدبية مسجلة في شريط «كاسيت».

(٥٩) ـ وهذا لا يمنع من ذكر الواقع وعرض الحقيقة إذا تطلّب الأمر فإنّي قد اطلعت على نماذج شعرية لبعضهم يهجو فيها بعض المشايخ هجاء أقرب إلى الحقد منها إلى الفن والفكر.

(٦٠) ـ القافلة رجب ١٤٠٧ هـ، من مقالة للأستاذ محمد رضا الشماسي.

(٦١) ـ ساحل الذهب الأسود ٢٩٢.

(٦٢) ـ مجموعة للشاعر مخطوطة في حوزتنا.

(٦٣) ـ مجموعة للشاعر مخطوطة في حوزتنا.

(٦٤) ـ مجموعة شعرية مخطوطة للشاعر في حوزة الأستاذ عبدالكريم الشيخ.

(٦٥) ـ مرافىء الدموع. مخطوط.

(٦٦) ـ مجموعة شعرية مخطوطة للشاعر في حوزتنا.

(٦٧) ـ رباعيات القرن العشرين. مخطوط.

(٦٨) ـ تسمّى هذه القضية عند المتكلمين بـ «شبهة ابن كمونة» نسبة إلى أوّل من طرحها وهو متكلم قديم. ومفادها أنّ وجود الله ـ عند ابن كمونة ـ ماهية أي عرض. أمّا المسلمون، وبخاصة الشيعة، فإنّهم يرون أنّ وجود الله أصيل. ولقد بلغ الجدل حول هذه القضية بأحد علمائنا الأفذاذ لأن يقول مامؤداه: أنّه لو رأى الإمام الحجة (ع) لسأله عن شبهة ابن كمونة.

(٦٩) ـ ولا يعني ذلك أنّنا نعيب على الشعر الفكري الآخر شيئاً، فهو ـ وإن لم يتعدَّ كونه نظماً ـ يحمل مادة فكرية غزيرة جديرة بالاهتمام من قبل المتخصصين في تلك العلوم.

(٧٠) ـ رباعيات القرن العشرين. مخطوط.

(٧١) ـ النغم الجريح: ١٧.

(٧٢) ـ شفق الأحلام: ١١.

(٧٣) ـ مراقىء الدموع. مخطوط.

(٧٤) ـ شعراء القطيف ٢ / ٤٣ والقطيف وأضواء على شعرها المعاصر ص ١٧٢، وفيه بعض الاختلاف عن مصدره.

(٧٥) ـ عن مجموعة شعرية للشاعر بخطه في حوزتي.

(٧٦) ـ الأمسية الشعرية الأولى بنادي الخليج بسيهات ١٤٠٢ هـ ص ٨.

(٧٧) ـ رسمت قلبي ص ٢١. والقطيف وأضواء على شعرها المعاصر ص ١٧٠.

(٧٨) ـ ديوان أنفاس يائسة: مخطوط.

(٧٩) ـ مجموعة شعرية مخطوطة للشاعر في حوزتي.

(٨٠) ـ مراقىء الدموع.

(٨١) ـ شفق الأحلام: ١٣.

(٨٢) ـ شيء اسمه الحب ص ٢٠.

(٨٣) ـ عن مجموعتين مخطوطتين للشاعرين بحوزتي.

(٨٤) ـ القطيف وأضواء على شعرها المعاصر ٢١١، مجلة العرفان ج ٦ م ٣٧ ص ٦٦٩ وفيها اختلاف طفيف.

(٨٥) ـ مجلة «القافلة» عدد ذي القعدة ١٤٠٧ هـ انظر مقالة الأستاذ محمد رضا الشمامي.

(٨٦) ـ شفق الأحلام ٩١، مجلة العرفان م ٣٧ ج ٦ ص ٦٤٦.

(٨٧) ـ النغم الجريح ٩.

(٨٨) ـ مراقىء الدموع.

(٨٩) ـ مجموعة شعرية مخطوطة.

(٩٠) ـ مراقىء الدموع. مخطوط.

(٩١) ـ (٩٢) ـ (٩٣) ـ مجموعة شعرية مخطوطة في مكتبتي.

(٩٤) ـ مجموعة شعرية مخطوطة للشاعر.

(٩٥) ـ مجموعة شعرية مخطوطة.

(٩٦) ـ مجموعة شعرية قطيفية.

(٩٧) ـ شريط التأبين الكاسيت.

(٩٨) ـ هو علي بن الشيخ حسين بن الشيخ علي البلادي رحمهم الله، والد الشاعر عمر الشيخ، توفي سنة ١٤٠٤ هـ، وأقيم له في ذكرى الأربعين احتفال غفير ضمّ عدداً كبيراً من أدباء المنطقة وشعرائها ممن شاركوا في تأبينه.

(٩٩) ـ عن مجمرة مخطوطة للشاعر في حوزة الأستاذ عبدالكريم الشيخ.

(١٠٠) ـ جريدة اليوم، عدد ١٣ / ١١ و ٢٠ / ١١ / ١٤١٠ هـ. انظر مقالة «دعابات الكوفي» للأستاذ حسن السبع، وفيها تنبيه لطيف إلى هذه الناحية في شعر الكوفي.

(١٠١) ـ شريط أمسية شعرية بصوت الشاعر.

(١٠٢) ـ مجموعة شعرية قطيفية مخطوطة.

(١٠٣) ـ مجموعة مخطوطة للشاعر.

(١٠٤) ـ ذكرنا في موضع سابق أنّه تلميذ الملاّ عبدالمحسن بن محمد بن نصر.

(١٠٥) ـ راجع «نحو إسلام سليم» الشيخ أحمد مغنية من ٤٢ ـ ٦٣.

(١٠٦) ـ شعراء القطيف: ابتداء من ١ / ٢٦٨ حتى نهاية الجزء الثاني.

(١٠٧) ـ هذا الحكم صدر بناء على اتفاق الأربعة، ولا يعني ذلك أنّنا نجزم بذلك. راجع موضع تعرّضنا للاتجاهات الفنّية في الشعر القطيفي في القسم الأوّل.

(١٠٨) ـ وفي شعراء القطيف سنة ١٣٥٣ هـ ولعلّه التباس أو خطأ.

(١٠٩) ـ من طريف ذلك أنّه كتب قصيدة تهنئة قدّمها لفضيلة الشيخ الخطي بمناسبة شفائه من أزمة صحية حادة، فلمّا قرأها الشيخ الخطي وجد أنّ عباس خزام رثاه في حياته.. !!.

(١١٠) ـ القافلة محرّم ١٤٠٨ هـ.

(١١١) ـ كان أصل هذا الكتاب قصيدة مطولة في أهل البيت (ع) ثم قام بالتعليق عليها متعرضاً لأقوال كثير من العلماء والمفكرين في حق أهل البيت (ع) فما وصل إلى الإمام الكاظم إلاّ وقد تجمّع عنده مجلد ونصف المجلد من القطع المتوسط، فأصبح هذا التعليق مصنفاً!! نامل منه إكماله ونشره.

(١١٢) ـ شعراء القطيف المعاصرون: الأستاذ عبدالله العبد المحسن.

(١١٣) ـ المصدر السابق.

(١١٤) ـ القطيف: ٢٣١.

(١١٥) ـ فقد أصيب في طفولته بكسر في فخذه الأيسر مما اضطر الأطباء ـ فيما بعد ـ إلى بتر قدمه كاملة نظراً للمضاعفات الخطيرة التي لحقت به من جرائها.